# إيفانهو

تأليف: سير والترسكوت

ترجمة: صبرى الفضل

مراجعة: مختار السويفى




# مهرجان القراءة للجميع ٩٨

## مكتبة الأسرة

## برعاية السيدة سوزان مبارك

## (روائع الأدب العالمى للناشئين)

إيفانهو
تأليف: سير والترسكوت
ترجمة: صبرى الفضل
مراجعة: مختار السويفى

الغلاف: للفنان جمال قطب

الإشراف الفنى:
للفنان محمود الهندى

المشرف العام
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ: هيئة الكتاب

إيفانهو

## مقدمة



ومازال نهر العطاء يتدفق، تتفجر منه ينابيع المعرفة والحكمة من خلال إبداعات رواد النهضة الفكرية المصرية وتواصلهم جيلاً بعد جيل. ومازلنا نتشبث بنور المعرفة حقاً لكل إنسان ومازلت أحلم بكتاب لكل مواطن ومكتبة فى كل بيت.

شبَّت التجربة المصرية «القراءة للجميع» عن الطوق ودخلت «مكتبة الأسرة» عامها الخامس يشع نورها ليضىء النفوس ويثرى الوجدان بكتاب فى متناول الجميع ويشهد العالم للتجربة المصرية بالتألق والجدية وتعتمدها هيئة اليونسكو تجربة رائدة تحتذى فى كل العالم الثالث، ومازلت أحلم بالمزيد من لآلىء الإبداع الفكرى والأدبى والعلمى تترسخ فى وجدان أهلى وعشيرتى أبناء وطنى مصر المحروسة، مصر الفن، مصر التاريخ، مصر العلم والفكر والحضارة.

**سوزان مبارك**

## على سبيل التقديم

تواصل مكتبة الأسرة ٩٨ رسالتها التنويرية وأهدافها النبيلة بربط الأجيال بتراثها الحضارى المتميز منذ فجر التاريخ وإتاحة الفرصة أمام القارئ للتواصل مع الثقافات الأخرى، لأن الكتاب مصدر الثقافة الخالد هو قلعتنا الحصينة وسلاحنا الماضى فى مواكبة عصر المعلومات والمعرفة.

**د . سمير سرحان**

## مقدمة عن المؤلف

## والتر سكوت

( ١٧٧١ - ١٨٣٢ )

ولد والتر سكوت فى ادنبره ، وتعلم بها الى ان عمل بالمحاماة مثل ابيه . يعد اعظم روائيى عصره على مستوى اوربا كلها ، بجانب كونه شاعرا مرموقا . ونجح نجاحا جماهيريا لم يحققه احد من قبله ، وكسب من اعماله الأدبية اموالا طائلة .

وهو من رواد الرومانسية ، لذلك نجد من اهم مظاهر اعماله حبه للماضى وتوفره على احيائه وتمجيده ، ويعالج فى رواياته تاريخا امتد من العصور الوسطى الى العصر الذى عاش فيه . وخلق كثيرا من الشخصيات التى كثيرا ما تقارن بشخصيات شكسبير شاعر انجلترا الأول .

وهو اكثر من امتع القراء من الروائيين الانجليز ، بعد ديكنز . وهو اول من قدم التـــاريخ من خلال الشخصيات . ورواية ايفانهو ، واحدة من اكثر من عشرين رواية له . وتدور احداثها فى العصور الوسطى .

المترجم

الفصل الأول

# فى الغــابة

فى تلك المنطقة الممتعة من انجلترا التى يرويهـا نهر الدون بمياهه الخصيبة ، امتدت فيمـــا مضى من الزمان ، غابة واسعة تكسو بأشجارها الوارفة ، الجزء الأكبر من سلسلة الجبال والوديان الجميلة ، الممتدة بين مدينتى « شفلد » و « دونكاستر » ٠

وتاريخ قصتنا يرجع الى ما يزيد عن سبعمائـة وخمسين سنة مضت ، عندما كان ريتشـــارد قـــلب الأسد ملكا على انجلترا ، ولكنه غائب منذ فترة طويلة فى فلسطين ٠ ويحكم أخوه جون انجلترا نيابة عنه ـ

يحكمها بشكل سيء . وفى نفس الوقت يتآمر ويدبر الخطط ليستولى على العرش لنفسه ، ويطرد أخاه ، ريتشارد عندما يعود .

وقبل هذا التاريخ بمائة سنة فقط غزا النورمانديون انجلترا . ومع مرور الوقت اندمج هذان الشعبان ـ النورمانديون والسكسونيون ـ سويا مكونين الأمة الانجليزية المعروفة اليوم . ولكن فى زمن هذه الرواية ، لم يكن هذا الاندماج قد حدث بالفعل فسكان انجلترا متنافرون متناكرون ، يضمرون الكره والبغضاء لبعضهم ، فالنورمانديون هم « النبلاء » أو أصحاب الحكم والسلطان ، والسكسونيون هم أصحاب البلد الأصليون . فهذا فريق غالب متعجرف ، وذاك فريق مغلوب لا ينال الا الفتات من ثروته وأراضيه .

كانت الشمس تغرب فوق تلك الغابة الغنية ، التى ذكرناها ، وتبسط مئات من أشجار السنديان الوارفة اذرعتها المعقودة فوق العشب الأخضر الكثيف . وفى بعض الأماكن تتلاحم الأشجار وتتعانق مع بعضها

البعض ، فتحبس ضوء الشمس وتحجبه تماما • وفى أماكن أخرى تتباعد متناثرة فيتعلق ضوء الشمس فوق فروعها وينساب على جذوعها المغطاة وبالطحالب والنباتات المتسلقة فيرسم ألوانا وأشكالا زاهيـة فوق العشـب السفلى •

وهناك أرض فضاء واسعة فى وسط هذه الغابة ، لعلها كانت تستخدم فيما مضى لأغراض دينية ، لانـه كان لا يزال قائما فوق قمة تل صغير ، حلقة من أحجار خام ضخمة ، هى بقايا معبد قديم • ولقد سقط أحـد هذه الأحجار الضخمة الى أسفل التل ، حيث أعـاق مجرى جدول ماء صغير ، الذى تحايل وفاض من فوقه ، محدثا شلالا مدمدما •

ويكمل هـذا المشهد الطبيعى شخصان يتجاذبان أطراف الحديث • وكان أكبرهما له مظهـر وحشى ، فرداؤه من أبسط الأنواع ، فقد كان عبارة عن سـترة مصنوعة من جلد بعض الحيوان ، تغطى جسمه من عنقه الى ركبتيه ، ويطوق وسطه حزام عريض • ويحمل فى حزامه بوقا ، وسكينا مرهفة الحدين • ويلتف حـول

عنقه طوق من النحاس كتبت عليه باللغة السكسونية العبارة التالية : « هذا جورث بن بيوولف ، عبد ابن عبد ل : « سدريك روذروود » • وكان جورث هذا راعـي خنازير •

ويجلس بجوار راعي الخنازير ، على احدى الاحجار المتساقطة ، رجل أصغر منه بنحو عشر سنوات ، مرتديا ملابس لا تخلو من الغرابة ، فسترته أرجوانية ساطعة اللون عليها رسوم متعـــددة الألوان • ويلتف حــول ذراعيه شريط فضى ، وحول عنقه طوق من الفضـــة ، كتبت عليه العبارة التالية : « هذا وامبا ابن ويتلس ، عبد ل : سدريك روذروود » • وهو مهرج سدريك الذى من واجبـه أن يروح عن ســـيده ، ويسليه بالضحك والنكات أثنـــاء تناوله وجبـات الطعام أو فى أى وقت يطلب منه ذلك •

التفت جورث الى قطيع الخنازير السارح فـــوق المرعى ونفخ فى البوق عاليا ليجمعه استعدادا للرواح ،



قال جورث : اللعنة على هذه الخنازير !

وقال .

– « لعنة القديس ويتولد على هذه الخنـازير » .
واجابت الخنازير على ندائه بنغمات متجاوبة مع موسيقى بوقه ، ولكنهـا تباطات فى ترك وجبـة طعامهـا .
فصرخ باعلى صوته على كلب شبيه بالذئب :

– فلا نجز ! فلا نجز ! تعال هنا .

فركض الكلب بوهن محاولا جمع العصـاة من الخنازير .

فقال جورث :

– الشيطان خلع اسنانه ، واللعنة على حـارس الغابه الذى اصابه بجرح ، وجعله غير صالح لعملـه .
« وامبا » انهض وساعدنى . اذهب من وراء التل وادفع بهم نحوى .

فقال « وامبا » دون ان يتحرك من مكانه :

– فى الحقيقة ، وبكل صدق واخلاص ، لقـد استشرت ساقى ازاء هذا الموضوع ، وكان من رأيهمـا

انه ليس من العدل بالنسبة لملابسى ان احملها واطوف بها عبر هذه الأماكن الموحلة ٠٠٠ ولكن رويدا ! مـــاذا لدينا هنا ؟

واخذ ينصت لصوت جياد عديدة ، بدأ يعلـــو ويزداد ٠ **ثم أردف قائلا :**

ـ لابد أن أرى الركاب ٠ لعلهم قادمون من أرض الجن برسالة من الملك أوبرون ٠

**فاجاب راعى الخنازير بصوت ضجر :**

ـ عليك اللعنة ٠٠ لماذا تتكلم عن مثـــل هـــذه الأشياء ، بينما عاصفة يصل طنينها من على بعد اميال قليلة منا ؟ انصت للرعد ٠ أما المطر ، فلم أر مثـــل هذه القطرات الكبيرة ٠ دعنا نعود ولنسرع فى الرواح ، قبل وصول العاصفة ، فالليلة تلوح عاتية رهيبة ٠

وبدا على وامبا الاقتناع ، حيث رافق جورث الذى سار مسرعا عبر الغـــابة محلقـــا على قطيع الخنازير أمامه ٠٠

الفصل الثانى

## شخصان عظيمان

وما هى الا دقائق قليلة ، حتى أدرك جورث وواميا كوكبة من الفرسان يتقدمها فارسان يبدو أن لهما بعض الأهمية ٠

احدهما كان من الواضح انه راهب عال المرتبة ، فعباءته من أفخر أنواع القماش ، محفوفة بالفرو الثمين ، ويتهادى فى طياتها الرشيقة وقوامه حسن التغذية ٠ وتدل ملامحه على أنه رجل لا يبخل على نفسه بأى نوع من أنواع الراحة ٠ وكان وجهه يشع سعادة وظرفا ،

ويبدو على الجواد أيضا أنه حسن التغذية ، مع الامتنان لفضل الفارس المحنك • الذى يمتطيه •

أما رفيقه فهو فارس هيكل • وأعضاء نظام فرسان الهيكل هذا ، كان نصفهم قسس ونصفهم جنود ، فهم رجال قد أقسموا أن يعيشوا حياة شظف وبساطة، وأن يحاربوا لاسترداد الأماكن المقدسة فى القدس • وكان هذا النظام يحوى رجالا من جميع الأمم ، كما كانت توجد دور لفرسان الهيكل ، فى معظم دول أوربا• وبالرغم من هذا القسم كانت لفرسان الهيكل سمعة سيئة ، حيث كانوا غلاظ القلوب جائرين ، يوصمون باللؤم والخسة •

وكان فارس الهيكل هذا رجلا فى حوالى الأربعين من عمره • كان نحيفا وقويا وفارع الطول • وكان وجهه يشع مهابة ورعبا ، وينفث الخوف فى قلب أى غريب • وكانت بشرته محترقة تكاد تكون سوداء من شمس البلاد المشرقة • أما عيناه فكانتا مفعمتين بالشجاعة وقوة الشكيمة •

كان يرتدى عباءة حمراء ، مطرزا على الكتف الأيمن منها صليب أبيض ، اشارة للطريقة الدينية التابع لها . وتخفى هذه العباءة من تحتها قميصا واقيا من السلاسل الحديدية .. أما الركبتان والقدمان فتحميها صفائح من الصلب مربوطة بمهارة . ويحمل فى حزامه سكينا طويلة ذات حدين . وكان يمتطى جوادا جميلا ، بينما جواده الحربى يقوده أحد اتباعه من خلفه . ويحمل تابع آخر رمحه ودرعه ، ويتبعهم آخران ، تدل ملابسهما على أنهما من بلاد المشرق .

اثار هذا المظهر الغريب لهذه الكوكبة من الناس اهتمام وامبا . انه يعرف أيمر رئيس دير الرهبان فى جورفولكس المشهور فى هذه المنطقة ولأميال عديدة ، بحبه للصيد والولائم والمتع الدنيوية . أما مظهر رفيقه العجيب وأتباعه القادمين من بلاد المشرق ، فقد أثار انتباه جورث ومبا ، حتى كادا لا يسمعان أيمر رئيس دير الرهبان عندما وجه لهما سؤالا . فقال لهما للمرة الثانية رافعا صوته :

– اسالكما .. هـــل تستطيعان ارشادنا لمنزل سدريك روذروود ؟

**فاجاب جورث :**

– لن يكون من السهل العثور على الطريق اليه ، كما وأن عائلة سدريك تاوى للفراش مبكرا .

**فقاطع الفارس الكلام قائلا :**

– لا تتفوه بهذا الهراء ! فمن السهـل عليهـم النهوض وتزويد مسافرين مثلنا بما نريد .

**فقال جورث :**

– لا أدرى ، هل أهدى الى قصر سيدى أناســا يرون الضيافة فرضا واجبا ؟ فمعظم النـــاس يرون الضيافة نوعا من الفضل والمعروف .

**فقال الفارس غاضبا :**

– اتحدثنى بهذه اللهجة ، أيها العبد !

ورفع سوطه يريد أن يهوى به على رأس جورث ، فدخل ايمر رئيس الدير بجواده بينهما ، وقال :

ـ نحن سكان الجزر البريطانية لا نحب الضرب ٠

ثم وجه كلامه لوامبا وهو يعطيه قطعة نقود فضية، قائلا :

ـ دلني ايها الرفيق الطيب عن قصر سدريك ٠ فلا يمكن أن تكون جاهلا به ، ومن واجبـــك ارشـــاد الضال ٠

فاجاب وامبـا :

ـ اسلكوا هذه الطريق الممتدة أمامكم حتى تصلوا الى صليب حجرى عنـد مفترق الطـرق ، فسـيروا فى الطريق القائمة على يساركم ، لعلكم تصلون قبل هبوب العاصفة ٠

وشكر رئيس الدير مرشـده الحكيم وانطلق مع الفرسان مسرعين ٠

وعندمـــا خفتت أصـــوات الجياد **قـال جورث لصاحبه :**

ـ اذا تبعوا ارشاداتك الحكيمة ، فلن يصـــلوا روذروود الليلة ٠

**فضحك المهرج قائلا :**

ـ لا ، ولكنهم قد يصلون شفلد ، اذا شملهـــم الحظ الطيب بالرعاية ، وهذا مكان مناسب لهم ٠

**فقال جورث :**

ـ كنت محقا في تضليلهم ٠ فقد يحدث مكروها اذا رأى ايمر رئيس الدير ليدى روينا ـ والشيء الأسوأ بالنسبة لسدريك أن يتشاجر مع فارس المعبد هذا ٠

وفي أثناء الطريق تبادل أيمر رئيس دير الرهبان مع سير بريان دى (١) بوا جلبرت فـــارس الهيكـــل الحديث ، **قائلا :**

ـ واعلم أن سدريك هذا ، رجل فخور ، عنيف ،

---

(١) « دى » كلمة فرنسية معناها « من » ، والجزء الثاني من الاسم عادة هو اسم للمكان الذى ينحدر منه الشخص ٠

غضوب · يقف بالمرصاد معاديا للنبلاء النورماديين ···
بل حتى ضـــد جيرانه رينالد فرونت دى بواف (٢) ،
وفليب مالفيرون ·

فاجابه بوا جلبرت :

ـ سأستمتع بجمال ليدى روينا ذائعة الصيت ،
ليعوضنى عن توددى لجميل سدريك ابيها هذا الشخص
الوقح المتمرد ·

فقال رئيس الدير :

ـ ليس سدريك بأبيها ، بل هو الوصى عليها ·
فهى قريبة له من بعيد ، فكن لبقا فى النظر الى روينا ،
لأنه يحميها بحرص شديد · ويقال أنه طـرد ولـــده
الوحيد ويلفريد ايفـانهو من القصر ، لمجرد أنه تطلع
نحوها فى تودد · ويود سدريك أن يزوجها لـ : اثلستين
كوننجز برج رجل كبير فى السن ، ينحدر من سلالـة
الملوك السكسونيين ··· انظر ··· ها هو الصـليب
الحجرى · لقد أخبرنا المهرج ، على ما أظن ، أن نتجه
الى اليسار ·

---

(٢) معناها بالفرنسية « جبهة الثور » ·

**فقال الفارس :**

ـ الى اليمين حسب ما أذكر . ولكنى ارى تحت الصليب رجلا نائما ، دعنى أوقظه برمحى .

**فهب الرجل وهو يصيح :**

ـ لماذا قطعتم على سبيل تفكيرى أيها القوم ؟

**فقال الراهب :**

ـ نود أن نسألك عن الطـــريق الى روذروود ، حيث قصر سدريك الساكسونى .

**فقال الغريب :**

ـ أنا نفسى ذاهب الى هناك . وسأدلكم عليه . اننى حاج عائد لتوى من الحج لبيت المقدس .

وسار بهم فى الطريق اليمنى ، التى توغلت بهم على الفور فى الغابة .

وقال الراهب :

ـ انى جد لمندهش ، انك بعد طول هذه الغيبة ، تتذكر طرق هذه الغابة جيدا ·

فاجاب دليلهم الحاج الملثم :

ـ اننى من مواليد هذه المنطقة ·

★★★

## الفصل الثالث

# سدريك الساكسونى

جلس سدريك فى البهو الكبير ، ولم يكن معتدل المزاج ، لاسباب ثلاثة ... فليدى روينـــا لم تحضر الصلاة المسائية فى الكنيسة البعيدة ، حيث تأخرت فى الحضور كما تأخرت فى العودة ... وكان يجب على جورث أن يعــود منــذ فترة طويلة ، مع الخنازير ... كما أنه يريد وامبا ليروح عنه ويسليه ، أثناء تناولـه العشاء . وصاح فيمن حوله غاضبا :

ـ أين ليدى روينا ؟ ما بالها لم تأت ؟

فقالت الوصيفة الجيثا :

– انها تغير ملابسها ، وستحضر بعد قليل .

– وما الذى يؤخر جورث فى الحقـــول لهـــذه الساعة ؟ ستقولون لى ، على ما اظن ، أن أملاكى قـــد نقلها خدم النورمانديين الجائعين . ووميا ، أين وميا ؟ ألم يقل أحدكم انه ذهب مع جورث ؟

فاجـابه اوزوالد الســـاقى انه كذلك . فهتف سدريك حانقا :

– آه ! هل انتقل هو الآخر ، المهرج السكسونى ، ليسرى عن أحد السادة النورمانديين ؟

واختنق الصوت فى حلقه فهتف فى نفسه :

– آه يا ولفريد ! .. اتسمعنى يا ولفريد ! لـــو انك تحكمت فى عاطفتك الهوجـاء ، لما أصبح أبوك فى شيخوخته ، مثل السنديانة المنزوية التى تتساقط منها فروعها المكشوفة ، أمام قوى العاصفة الغاضبة !

وبينما هو فى هذه المناجاة الحزينة ، دوى صوت بوق فأيقظه من غفوته ، ودخل أحد الخدم بعد قليل ،

يقول :

ـ ان بالباب الراهب أيمر والفـــارس بريان دى بواجلبرت واتباعهما يطلبون ضيافة سيدى لتنـــاول الطعام وقضاء الليل ، حيث أنهم فى طريقهم الى مباراة الفرسان فى أشبى ٠

فقال سدريك :

ـ كلاهما نورماندى ٠ ولكن باب رودروود مفتوح لكل طارق ، حتى لايقال انلى ضيفـــا يـرد ٠ اذهب يا هوندبرت ٠ وادخلهم ٠ وانت يا أوزوالد ، قـــدم لهم أفضل الشراب ٠ بواجلبرت ! هذا الاسم تـــردد كثيرا فى الخير وفى الشر ٠ انه فارس شجاع ٠٠٠ ولكنه متغطرس وفاسق وغليظ القلب ٠

والتفت الى الجيثا ، وصيفة روينا وقال :

ـ قولى لسيدتك انها فى حل من الظهور بيننــــا الليلة ، الا اذا كانت تريد ذلك ٠

فقالت الوصيفة :

ـ سيسر سيدتي أن تحضر ، لأنها شغوفة دائما لسماع آخر أنباء فلسطين ٠

فصرخ سدريك :

ـ كفى !

وهمس فى نفسه :

ـ فلسطين ! وأنا أيضا مشتاق الى سماع انباء فلسطين ٠٠٠ ولكن لا ٠٠٠ فابنى الذى عصانى لم يعد ابنى ٠٠٠ ولن أشغل نفسى بمصيره ٠

وانفتحت الأبواب على مصاريعها فى نهاية البهو الكبير ، ودخل الضيوف ٠

★★★

الفصل الرابع

## الوليمة ··· والتحدى

نهض سدريك لاستقبال ضيوفه ، واعطى اشارة لاعداد المائدة للعشاء ·

وما كادت الوليمة تبدأ الا ورفع رئيس الخدم يده قائلا بصوت مرتفع :

ـ افسحوا مكانا لليدى روينا ! وانفرج بـــاب جانبى ودخلت روينا تتبعها وصيفاتها الأربع ·

فنهض الجميع لاستقبالها ، وما كاد الفـــارس يراها حتى انحنى على الراهب هامسا :

ـ هذه هي مكافأتي :

فاجاب الراهب :

ـ الم أقل لك أنها لعلى جمال عظيم ؟

وشعرت روينا بعيني الفارس تطيـــل التحديق فيها ، فأرخت خمارها حول وجهها اشارة لاستيائها ٠

فقال سدريك ، موجها الخطاب الى الفارس :

ـ سير بريان ، ان وجنات فتياتنا السكسونيات ما تعودت أن تتلقى مثل هذه النظرات الشاخصة ٠

فقال بواجلبرت :

ـ ان كنت قد اخطأت ، فأرجو المعذرة منك ، ومن الليدى روينا ٠

فقال الراهب :

ـ لقد عاقبتنا الليدى روينا بارخاء خمارها ، دعونا نأمل ان تكون أقل قسوة فى مباريات الفرسان ٠

فقال سدريك :



وهمس للراهب : هذه هي مكافأتي !

ــ ان ذهابنا ليس مؤكدا ٠

وقطع على الجماعة الحديث ، دخول احد الخدم ، وهو يقول بأن بالباب غريبا ، يطلب الضيافة ٠

فقال سدريك :

ــ اسمحوا له ٠ مهما كانت شخصيته أو ماهيته٠ تتبع الأمر يا وزوالد ٠

وعاد اوزوالد بعد قليل ، وأسر فى اذن سيده ، قائلا :

ــ ان الغريب يهودى يدعى اسحق يورك ٠

ودخل البهو رجل طويل نحيل متقدم فى السن ، وقام بانحناءة شديدة ، فرد عليها سدريك بايماءة منه ٠ انه اليهودى الذى وقف يتطلع للترحاب به أو لمكان يجلس فيه ٠ فاعطاه الحاج الملثم الجالس بجانب المدفأة مكانه ، حيث اخذته الشفقة به ، وجلب له بعض الطعام، من المائدة ٠ انه الحاج القادم من بيت المقدس ٠

واستانف سدريك الحديث قائلا :

ــ فلتشرب معى نخبا يا سير بريان · دعنا نشرب للشجعان ··· دعنا نشرب لهؤلاء الذين حاربوا ببسالة فى فلسطين !

فقال بوا جلبرث :

ــ اشرب تحية لجماعتى · جماعة فرسان الهيكل، لأنهم الأفضل ·

فقالت روينا تسال الفارس بريان :

ــ ألم يكن بين الجيش الانجليزى من يتساوى مع فرسان الهيكل ؟

فاجاب قائلا :

ــ اغفرى لى ياسيدتى ، لقد أحضر الملك ريتشارد معه الى فلسطين جيشا من الجنود الانجليز الشجعان ، ولكنهم يأتون بعد فرسان الهيكل ·

فصاح الحاج المتخفى :

ـ كلا يا سيدى ، لا يأتون بعد أحد !

فالتفت الجميع نحو المكان الذى جاء منه هذا الرد غير المتوقع ٠

ـ وأقول بالاضافة لذلك ـ لأنى شـــهدت هـذا بنفسى ـ أن الملك ريتشارد بنفسه مع ستة من فرسانه الانجليز عقدوا مباراة فى عكا ، وتحدوا جميع الذين حضروا ، وكان النصر حليفهم ٠ وكان من بين المنهزمين سبعة من فرسان الهيكل فى ذلك اليوم ٠

وامتقع وجه الفارس من الغضب ، بينما ابتهج سدريك الذى قال :

ـ ايها الحاج ، سأعطيك هذا الخاتم الذهبى اذا ذكرت لى أسماء أولئك الأبطال الذين اشادوا عاليا باسم فرسان انجلترا وببسالتهم واقدامهم ٠

فقال الحاج المتخفى :

ـ أولهم هو ريتشارد ، ملك انجلترا ، ولـورد ليسستر هو الثانى ، وسير توماس مولتون هو الثالث ،

وسير فولك دويلى الرابع ، والخامس هو سير ادوين تورنهام ٠

فصاح سدريك :

ـ جميعهم من الساكسون ، وسادسهم ؟

فقال الحاج بعد فترة صمت :

ـ السادس هو فارس شاب أقل شهرة وأقـــل رتبة ، قد غاب عنى اسمه ٠

فقال بوا جلبرت :

ـ لماذا أيها الحاج تتظاهر بنسيان اسم هـــذا الشاب ، بعد ما أدليت بهذا التفصيل ؟ سأذكر أنـا اسم ذلك الفارس ، الذى لحسن خطه ، ولكبوة جوادى، نجح فى التغلب على ٠ ان اسمه ولفريد ايفانهو ٠ ومع ذلك ، فانى اقول ، وأعلنها بأعلى صوتى ٠٠٠ انه اذا كان موجودا فى انجلترا فانى أتحداه لمقابلتى ثانية فى آشبى ، والنتيجة أعرفها مسبقا ٠

فقال الحاج المتخفى :

ـ اعدك لو عاد أيفانهو من فلسطين ، فسيلقـاك حتمـا ٠

وقال بوا جلبرت :

ـ واذا لم يفعل ، فسأعلنها على الملأ فى كل دولة من أوربا أنه جبان ·

فقالت ليدى روينا :

ـ لا داعى لذلك · وسيرتفع صوتى ، اذا لم يرتفع صوت آخر فى هذه القاعة ، ليقف بجانب ايفانهو الغائب · كما أقسم بأن ايفانهو سيقبل التحدى الذى يرغبه هذا الفارس المعتز بشجاعته ·

وخشى الراهب أن يؤدى مثل هذا الحديث الى مشاجرة ، فقال :

ـ سير سدريك ، دعنا نشرب نخبا أخيرا فى صحة ليدى روينا ، وبعده نأوى الى فراشنا ·

ومر الشراب حول الجميع · وقام الضيوف بانحناءة شديدة لمضيفهم ، ولليدى روينا ، ثم نهضوا للخروج ، بينما انسحب سدريك مع روينا والحاشية ·

وعندما مر بوا جلبرت باسحق ، قال :

ـ ايهـــا اليهودى ! هل انت متجه الى مبـــاراة الفرسان ؟

فقال اليهودى وهو ينحنى احتراما :

ـ انى انوى على ذلك ·

فقال الفارس :

ـ وبالتأكيد جعبتك مليئة بالنقود ·

فصرخ اليهودى فى فزع :

ـ ابدا ، اطلاقا · حتى هذه الملابس ليست ملكى ·
فضحك بوا جلبرت فى حنق ، ومضى الى نهاية البهو · حيث كان يقف اتباعه الشرقيون ، فلحق بهم وتبـادل معهم الحديث بلغة غير معروفة للحاضرين ·

★★★



راعي الخنازير
خنازير
مباراة الفرسان
راهب
دير

## الفصل الخامس

# الحاج الغامض

وأثناء ذهاب الحاج الغريب الى غرفته مع خادم يدعى انوالد ، التقت به وصيفة من وصيفات روينا ، التى اخبرته بأن سيدتها ترغب فى التحدث معه · وأخذت المصباح من الخادم ، وأشارت للحاج بأن يتبعها، فلحق بها طائعا عبر ممر قصير ، ثم صعدا سبع درجات ، فوصلا حجرة الليدى روينا · وكانت تجلس على كرسى فسيح ترتب شعرها ، وتحيط بها ثلاث وصيفات ، **فالتفتت نحوهن وقالت :**

ـ انصرفن فيما عدا الجيثا فقط ، لأنى أرغب فى التحدث مع هذا الحاج التقى ·

ثم قالت بعد برهة صمت :

ـ ايها الحاج ، ذكرت اسم ايفانهو الليلة فتحركت قلوب كثيرة فى ذلك البهو بذكر هذا الاسم. وها أنا أتجاسر وحدى واسألك أين تركته ، وفى أى حالة ؟

فاجابها الحاج الغامض بصوت مضطرب :

ـ لا أعرف الفارس ايفانهو معرفة وثيقة ، وكنت أود أن أعرف عنه المزيد ، طالما انك يا سيدتى تهتمى بمصيره . انه ، على ما أعتقد سيعود الى انجلترا قريبا جدا . وانت يا سيدتى ، لابد انك تعلمين أفضل منى عن فرصة سعادته هناك .

فقالت روينا بعد تنهيدة طويلة :

ـ ابتهل الى الله ان يكون قد وصل الى هنا فى امان ، وقادر على حمل الأسلحة فى هذه المباراة . واذا حصل اثيلستين كوننجزبرج على الجائزة ، فسسمع

ايفانهو أنباء محزنة عندما يصل انجلترا ···· ايتهـا الوصيفة ، اقتربى وقدمى للحاج التقى شراب ما قبل النوم ، حتى لا اعطله أكثر من ذلك عن راحته ·

وتبع الحاج الجيثا خارج الحجرة ، فوجد عنـــد الباب انوالد ، الذى قاده الى جزء خارجى من المبنـــى ، حيث توجد عدد من الحجرات الصغيرة المعـدة لنـــوم الخدم ، والغرباء الفقراء ، وسأل الحاج المتخفى :

ـ فى أى حجرة من هذه ينام اليهودى ؟

فقال انوالد :

ـ فى الحجرة المجاورة لقداستكم ·

ـ وأين ينام جورث راعى الخنازير ؟

فأجاب العبد :

ـ جورث : انه ينام فى الحجرة التى عن يمينك ·

ودخل الحاج الحجرة واغلق بابها · كان أثــاث الحجرة من أبسط الأنواع ·· مقعد خشبى فظ وفراش

أكثر فظاظة مغطى بالقش وبعض قطع من فرو الأغنام ، كاغطية للفراش ·

أطفا الحاج المصباح ، والقى بنفسه على هـــذا الفراش ، بدون أن يخلع ملابسه ··· ونام حتى انبثاق الفجر ، عندما وجدت بشائر خيـــوط الشمس الأولى طريقها من قضبان النافـــذة الصغيرة ، فقفز عنـدئذ ناهضا ، وأدى صلاته ، ورتب هندامه وغادر الحجرة ، ثم دخل حجرة اسحق اليهودى ·

كان اليهودى راقدا على فراش مشابه للذى قضى الحاج ليلته عليه · وكان فى نومه المضطرب ، يحـرك يديه وذراعيه ، كما لو انه يعانى من حلم مفزع ، وأخذ يهمهم :

— بحق اله ابراهيم · ارحم رجلا تعيسا ! اننى فقير ؟ معدم ! حتى لو مزقتنى اربا اربا ، فلا استطيع أن أعطيك شيئا ·

فلمسه الحاج · فارتبطت هذه اللمسة فى عقـل اليهودى ببعض المخاوف التى اثارها حلمـــه ، فقفـز

مرعوبا ، ووقف شعر رأسه الأشيب كالقنفذ ، وهو يلملم ثوبه من حوله شاخصا ببصره نحو الحاج المتخفى، فى وجوم واندهاش وخوف جسمانى ٠

فطمأنه الحاج وقال له :

ـ لا تخف يا اسحق فما أنا الا صديق ! أغرنى سمعك ولا تضيع الوقت سدى ٠ مساء أمس عند انصرافنا جميعا من البهو الكبير ، سمعت فارس الهيكل يقول لأتباعه باللغة العربية التى اعرفها : راقبوا اليهودى واقبضوا عليه بعد انصرافه من هذا القصر ، واحملوه الى قلعة فيليب دى ما لغوازين أو فرانت دى بواف (١) ٠

لا يمكن وصف الرعب المهول الذى اصاب اليهودى عندما استمع لهذا النبأ ٠٠٠ تهدلت ذراعاه فى ارتخاء ، كما تهدل رأسه فوق صدره ، والتوت ركبتاه وانهار عند قدمى الحاج صارخا فى هلع :

ـ يا اله ابراهيم ! سبحانك ! لقد صدق الحلم ٠ ها أنذا أشعر بتعذيبهم يمزق أوصالى ٠

---

(١) معنى هذا الاسم بالفرنسية : « جبهة الثور » ٠

فقال الحاج :

ـ قف يا اسحق واستمـــع الى ٠ اترك هـذا القصر ، ولذ بالفرار والناس نيـام ، بعد وليمة ليلة أمس ٠ هيا اتبعنى ، فسوف أرشدك عن طرق الغـابة السرية الى أن تأمن طريقك الى مباراة الفرسان ٠

وبدأ اسحق ينهض بالتدريج ، انملة ٠٠٠ انملة، عند سماعه بأمل الفـرار ، الى أن استقر راكعـــا على ركبتيه ، وصرخ فى الحاج :

ـ ايها الشاب الطيب ، سأذهب معك ، ما الذى ننتظره ؟ هيا ٠٠ !

ـ لا شيء ، ولكنى لا اعرف كيف أخرج من هذا القصر ! هيا ٠٠٠ هيا اتبعنى !

وسار الحاج باليهودى الى الحجرة المجاورة ، التى يقيم فيها جورث راعى الخنازير ، وكان وامبا معه أيضا ٠

فايقظه وقال له :

ـ انهض بسرعة يا جورث ، وافتح لى البوابة الصغيرة التى فى مؤخرة القصر ، لأخرج أنا واليهودى ٠

فدهش جورث من اللهجة الآمرة التى كلمه بهـا الحاج ونهض مستندا على مرفقه ، وقال :

ـ يجب على كليكما انتظار فتح البوابة الرئيسية ٠ ونحن لا نسمح بأى مغادرة سرية للقصر ، وفى مثـــل هذه الساعة بالذات ٠

فقال الحاج فى نبرة آمرة :

ـ لكنك لن ترفض طلبى هذا ٠

ثـم انحنى فـــوق سريره ، وأسر اليـــه ببعض كلمات ، قفز جورث بعدها كمن مسه تيار كهربائى ، ورفع الحاج اصبعه محذرا وقال :

ـ انتبه يا جورث هيا افتح البوابة ، وفيما بعد ستعرف الأمر ٠

وأطاع جورث مسرعا ، بينما تبعاه وامبا واليهودى،

وهما مندهشان لهذا التغير المفاجىء في تصرف راعـي الخنازير ·

ـ اعط اليهـــودى جـواده ، واعطنى آخر حتى اصحبه ·

فقال جورت :

ـ سمعا وطاعة ·

فقال وامبا عندما استدار صديقه :

ـ اود أن أعرف ما الذى تتعلموه أيها الحجاج فى الأراضى المقدسة ؟

فاجاب الحاج المتخفى :

ـ اننا نتعلم الصلاة ، ايها المهرج ، والتوبة عن خطايانا ·

فقال المهرج :

ـ وأحيانا أكثر من ذلك ، لأن التوبة والصلاة لن

تجعـــل جـورث يتصرف بهذا الأدب ، ولن تحثه على اقراضك جوادا !

وما هي الا لحظات حتى كان الحاج واليهـــودى يجدان فى السير مبتعدين عن القصر ، والحاج يقـوم بقيادة اليهودى ، حيث ظهرت معرفته بكل طرق الغابة٠ وبعد توغلهما لمسافة طويلة قطع الحاج حبل الصمت ، وقال :

ـ أترى هذه السنديانة الضخمة ؟ انهـا نهـاية تخوم الأرض التى يسيطر عليهـا فرونت دى بواف ٠ وهنا سنفترق ، فأنت الآن لا خوف عليك ٠

فقال اسحق :

ـ ليس قبل أن يقدم لك يهودى فقير شكـــره وامتنانه ٠ واود أن اتمكن من مكافأتك على عطفـك ٠ واسمح لى أن أحقق لك أمنية تجول بخاطرك !

فقال الحاج :

ـ ان ما يجول بخاطرى لا يمكنك تحقيقه ٠

ـ بل في امكاني أن احقق لك رغبتك في جـــواد أصيل ودرع فارس ٠

فانتفض الحاج ملتفتا نحو اليهودي في دهشـــة وقال :

ـ أي شيطان الهمك ذلك ؟

فقال اليهودي :

ـ دل كلامك بالامس على أنك ليس كما تبدو ٠٠ علاوة على أن داخل رداء الحاج تختبيء سلسلة الفرسان الذهبية ٠ لقد لاحظتها عندما انحنيت فوق سريري هذا الصباح ٠ في مدينة ليستر ، يوجد يهودي ثري يدعى كيرجات حيرام ، معروف لكل الناس هناك ، سلمه هذه الورقة فلديه أطقم عديدة من أفخر أنـواع الدروع ، إسوأها يليق بملك ، وسيعطيك منهـا ما تختـــار ، وسيقرضك أي شيء آخر تحتاجه لمباريات الفرســان ٠

وعندما تنتهى المباراة عليك أن تعيدها لـه أو تدفـع قيمتها ·

فابتسم الحاج قائلا :

ـ ولكن يا اسحق الا تدرى أنه فى هذه المباريات يمنح درع المهزوم للفارس المنتصر ·

فظهر على اليهودى بعض الاضطراب عند سماعة ذلك ، ولكن أحاسيسه الخيرة انتصرت على حبه للمـال فقال :

ـ لا يهم ، لا يهم · فداك أغلى من الدروع · فمن أجلك لن يأخذ منك كيرجاث جيرام أى مقابل ·

ثم اردف قائلا وهو يدير جواده :

ـ ومع ذلك ، أيها الشاب الطيب ، لا تقحم نفسك أكثر من اللازم فى هذه المباراة العقيمة · اننى لا اقول ذلك خوفا على الجواد أو الدرع ، ولكن خوفا على حياتك الغالية ·

فابتسم الحاج مرة اخرى ، وقال :

ـ اشــــكرك على نصيحتك ، وسانتفع بعرضك الكريم ، وسابذل قصارى جهدى فى سداد قيمته ٠

وافترقا ، وسلك كل منها طريقـــا مختلفـا الى مدينة شفلد ٠

★★★

## الفصل السادس

# مباراة الفرسان فى آشبى

عقدت المباراة فى آشبى بحضور الأمير جون نفسه · وكان الموقع فى غاية الجمال · فعلى حدود الغابة بعيدا عن مدينة آشبى بحوالى ميل ، تمتد المروج الواسعة التى نصبت فى الجهة الجنوبية ، منها خمسة سرادقات فسيحة مزدانة بأعلام الفرسان الخمسة ، الذين تحدوا غيرهم من الأبطال · وكان السرادق القائم فى الوسط هو الخاص ببريان دى بواجلبرت ، وعن يمينه سرادق ريجنالد فرونت دى بواف ، وفيليب دى مالفيزون ، وعن يساره سرادق هيوج دى جرانتمسنل ، ورالف دى فيبونت ·

وفى الجهة الشمالية توجد سرادقات الفرسان الذين يتحدون الفرسان الخمسة · وفى المنتصف مقابل ساحة القتال تماما ، توجد المقاعد التى يعلوها العرش الذى سيجلس عليه الأمير جون · وفى الجانب الآخر من المروج ، مقابل هذه المقاعد ، توجد مجموعة أخرى من المقاعد أكثر زينة بها أعلام تحمل صورا لقلوب مطعونة ، وأقواس وسهام ، وجميع شارات الحب ورموز الغرام ، يتوسطها عرش مكتوب فوقه « ملكة الجمال والحب » ·· فمن تكون ؟ لا أحد يستطيع أن يتنبأ · سوف تنتخب هذه الملكة من بين الفتيات ، وتتوج ملكة على الجمال والحب ·

وامتلأت المدرجات بكل فئات المشاهدين ، فاحتل الفرسان والنبلاء والسيدات المقاعد العليا ، واحتل المقاعد السفلى المزارعون وطبقات الشعب ، وكثيرا ما تقع بينهم المشاجرات من أجل الأماكن ·

صرخ رجل عجوز كان يرتدى ملابس توحى بأنه فقير ، ولكن سيفه وسلسلته الذهبية توحى بأنه رفيع

المنزله قائلا :

ــ انت أيها اليهودى ! كيف تزاحم نبيلا تجرى فى عروقه دماء نورماندية !

لم تكن هذه الكلمات موجهة الا لصديقنا اسحق ، الذى كان مرتديا أفخر الملابس والموشاه بالفراء الثمين. كان يحاول أن يحتل مكانا فى الصف الأمامى لابنته . ربيكا الجميلة ، التى كانت تتعلق بذراع أبيها • وأثارت كلمات النورماندى العجوز حنق المشاهدين • كان من بينهم رئيس دير الرهبـــان فى جورفولكس بملابســه حزامه اثنا عشر سهما ، وقوس طوله ستة أقدام ، ولكن فى هذه اللحظة شد انتباه الجميع دخول الأمير جون المفاجىء ، محاطا بالنبلاء والفرسان ورجال الدين ، من بينهم رئيس دير الرهبـان فى جولفولكس بملابســه المطعمة بالذهب والفراء الثمين • وكان الأمير نفســـه يرتدى حلة حمراء فاخرة موشاة بالذهب ، وعلى رأسه قبعـة من الفراء محلاة بالأحجار الكريمة وكان وجهه أنيقا ، لكنه متغطرس قاس مفعم بالغش والخداع •

وبينما كان الأمير يتهادى بجواده حول المكان ، شد انتباهه الازعاج الذى تسبب فيه اسحق وهو يؤمن مقعدا فى الصف الأمامى · وأجال طرفه فى الجمهور فوقع على اليهودى ، ولكن شدت انتباهه أكثر ابنته الجميلة · فكان وجهها اللطيف يبرز حسنه وبهاء الرداء الشرقى الذى كانت ترتديه ، ويتوج رأسها غطاء حريرى أصفر ، يتناسب مع سمرة بشرتها · واشراقة عينيها ، وأقواس الفخر فى حاجبيها ، وأنفها حلو المقاييس ، وأسنانها كاللؤلؤ المنضود ، وثراء شعرها الداكن المتهدل فوق عنقها المياس ، كل هذه المفاتن مجتمعة خلقت وئاما من الروعة ينافس أجمل الجميلات ممن حولها ·

وقال الأمير جون :

ـ أقسم برأس ابراهيم ان هذه الفتاة اليهودية هى مثال للجمال · ما رأيك يا حضرة الراهب أيمر ؟

فأجاب ايمر :

ـ انها وردة وزنبقة الوادى !

وعندما اقترب الأمير من اليهودى سأله :

ـ من هذه يا اسحق ٠٠٠ زوجتك أم ابنتك ؟

فأجابه اسحاق مع انحناءة شديدة :

ـ انها ابنتى ربيكا يا سمو الأمير !

ثم وجه الأمير كلامه للراهب قائلا :

ـ اننا لم نختر ملكة الحب والجمال التى ستقوم بتقديم الجائزة للمنتصر ٠ أما عن نفسى ، فسأنتخب ربيكا صاحبة العينين السوداوين ٠

فأجاب الراهب فى فزع :

ـ يا للهول ! أقسم انها أدنى بكثير من الفاتنة السكسونية رونيا ٠

فأجاب الأمير :

ـ بل ننتخب ربيكا ٠

فعلت همهمة غاضبة ، حتى بين حاشية الأمير نفسه ٠ فتبين جون ضرورة الاذعان ٠ وقال دى براسى :

ـ دع الفائز يا مولاى ، يختار ملكة المهرجان ٠

فوافق الأمير ، وبعد أن جلس على عرشـــه أمر باعلان قواعد المباراة وشروطها ٠ وهى كالآتى :

١ ـ يجب على الفرسان الخمسة أن ينازلوا كل من يتحداهم ٠

٢ ـ يجب على كل فارس أن يختار غريمـه من المتحدين الخمسة ، بعد أن يلمس برمحه ترس غريمه ٠ فاذا لمس الترس بمقبض رمحه ، فستختبر المهـــارة بالرماح فقـط ٠ أما اذا لمس الترس بسن رمحـه ، فسيكون النزال بمختلف أنواع الأسلحة ، حتى تنتهى المعركة بينهما بالموت أو الاستسلام ٠

٣ ـ ويتسلم الفائز فى اليوم الأول من المباراة ، كجائزة ، جواد حرب من أحسن الجياد ، كما سيكون له شرف اختيارملكة الحب ، التى ستسلم الجائزة فى اليوم التالى ٠

٤ ـ وفى اليوم الثانى ، ستقـام مبـــاراة عامة

يشترك فيها جميع الفرسان الحضور ، على أن ينقسمو الى فريقين متساويين فى العدد ، ويظلوا يتقاتلون ، حتى يعطى الأمير الاشارة بنهاية المباراة · عندئذ ستتوج ملكة الحب الفائز بالاكليل الذهبى ·

بدت المروج فى أحلى حللها ، تحفل من كل جانب بكل ما هو نبيل وعظيم وثرى وفاتن ، من بقاع انجلترا المختلفة ·

وأنهى خدم الأمير بلاغهم بالصرخة المعتادة :

ـ البدرة ، البدرة أيها الفرسان الشجعان · وكلمة بدرة معناها « العطايا من النقود » · العملات الذهبية والفضية ، التى يلقيها عليهم المشاهدون · وردا على هذه العطايا ، يصيحون قائلين :

ـ المحبة للسيدات ··· الموت للمقاتلين ··· الشرف للكرماء ··· المجد للشجعان !

وتعزف الموسيقى بينما ينسحب الفرسان من الحلبة ·

واحتشدت المنطقة الفضاء المحاطة من الطرف الشمالى من المروج بالفرسان الراغبين فى اثبات مهاراتهم ومنازلة الفرسان الخمسة ٠

وأخيرا فتحت الأبواب ، واختاروا من بينهم خمسة فرسان تقدموا نحو المركز مسيطرين على جيادهم الجامحة ، ومظهرين فى نفس الوقت رشاقتهم ومهارتهم فى ركوب الخيل ٠ ومع دخول الموكب المرج الرئيسى ، عزفت الموسيقى وانبعثت أنغامها الحماسية من خلف سرادقات المتحدين ٠ والى أن وصل الفرسان الخمسة حيث تقام هذه السرادقات وأنظار جموع المشاهدين الهائلة مشدودة اليهم ٠ فداروا فى الميدان بخطى متمهلة وتفرقوا ٠ وضرب كل واحد منهم بمقبض رمحه ترس الفارس الذى يرغب فى منازلته ٠ ثم تقهقروا الى نهاية المرج ، واصطفوا فى صف واحد ٠ وبرز لهم فى الحال الخمسة المتحدون ، كل من سرادقه ممتطيا جواده وكل متوجه نحو الفارس الذى لمس ترسه ٠

وعند اشارة البدء ، التحم كل فارس بخصمه ٠

ولقد وقع خصوم بواجلبرت ، ومالفيزون ، وفرونت دى بواف من على جيادهم ، وتدحرجوا على الأرض ٠ ولم يسدد خصم جرانتمسنل سن رمحه ضد رأس عدوه أو ترسه ، ولكنه انحرف بعيدا عن خط السير ، فكسر سلاحه فوق جسد عدوه ٠٠ وهى قرينـــة تعتبر أكثر خزيا له عن وقوعه من فوق جواده ٠ أما الفــارس الخامس ، فلقد صان شرف فريقه بمفرده ، فهو وغريمه رالف دى فيبون كسرا رمحيهما وأصبحا متعادلين ٠

ودخل الميدان فريق ثان وثالث من الفرسان وبالرغم من حصولهم على بعض التوفيق الا أن التفوق ظل ، بصـــفة عامة فى جانب المتحدين ٠ وبدت روح خصومهم متدنية لاستمرار ، تفوقهم ٠ وظهر فى الجولة الرابعـة ، ثـلاثة فرسـان فقـط ٠ وتجنبوا تروس بواجلبرت ، وفرونت دى بواف ، وقاموا بلمس تروس الفرسان الثلاثة الآخرين ، الذين لم يظهروا كثيرا من القوة والحذق ٠ وحتى هذا الاختيار الوجل الهيوب لم يغير من النتيجة ، اذ كان مصير هؤلاء الثلاثة هو مصير من تقدمهم ٠

وبقى الميدان خاليا مدة طويلة ، ولم يتبر أحد للقتال ثانية ·

وهمهم المشـاهدون ، لأن من بين المتحدين كان مالفيزون وفـرونت دى بـواف مكروهين لأخلاقهمـا السيئة . وكان الثلاثـة الآخرون مكروهين ، لأنهـم أجانب وأغراب ·

ولم يحس أحد بالسخط الشديد ، مثل ما أحس به سدريك السكسونى · ففى كل فوز يحرزه المتحديون النورمانديون يرى فيه انتصـارا على شرف شـعبه · فنظر بقلق نحو أثلستين وقال :

ـ الحظ اليوم يعادى انجلترا ، يا سيدى ، ألا يثيرك هذا باستخدام رمحك ؟

فأجاب أثلستين :

ـ سأقاتل غدا · فلم أهيىء نفسى للقتال اليوم ·

واستمر الميدان خاليا · وأخذت موسيقى المتحدين تصدح من وقت لآخر ، كأنهـا تنادى خصوما جـددا لنزالهم ، ولكن لم يأت أحد · وندم عامة الشعب لقضاء

أجازتهم فى هذا الجو الفاتر · وعلية القـوم والفرسان القدامى يقولون أن الشباب لم يعد كما كان فى أيامهم· وشرع الأمير جون يخاطب أتباعه لتجهيز المأدبة التى تلى المبـــاراة ، وقال انه لا منـاص من اعطاء الجائزة لبواجلبرت الذى طرح أرضا ثلاثة فرسان برمحه ، لولا أن حال بينه وبين ذلك صــوت بوق منفرد قادما من الطرف الشمالى · وترامت جميع الأنظار لترى القـادم الجديد . واشرأبت اليه الأعنـاق · كان يرتدى درعا مصنوعة من الصلب المحلى بالذهب ، وممسكا بترس مزين بصـــورة شجرة صغيرة من أشـجار السنديان منزوعة من جذورها ، ومكتوب تحتها باللغة الأسبانية ما معناه « المطرود من وطنه » · وكان ممتطيا جوادا اسود شديد البراعة ، وعند مروره ، حيا برشاقة وخفة الأمير والسيدات ، وذلك بأن أخفض رمحه · وكسب ببراعته فى الاستعراض وتحكمه فى جواده ورشاقته الفتية استحسان الجمهور ، الذى أخذ يطلب منه أن يلمس ترس دى فيبون أقل الفرسان قدرة ، ليحصـل على فرصة فى الفوز ·

ولكن تحـرك نحـو الطرف الآخـــر من المرج ولدهشة الجميع ، انطلق طائرا الى السرادق الأوسط وضرب ترس بريان دى بوا جلبرت بسـنان رمحـه . ومعنى ذلك أنـه يدعوه لنزال تســـتخدم فيه جميع الأسلحة . ثم عاد بجواده للخلف ، ووقف فى الطرف الآخر من الميدان ، فى انتظار خصمه .

وأعطيت الاشــارة . وفى ومضـة البرق اختفى الحصمان من مكانيهما ، والتقيا فى وسـط الميدان فى صدام كالرعد . تحطمت فيه رمح كل منهما ، وطارت شظاياهما . وكبا الجوادان تحتهما ، غير أن مهارتهما أقالت الجوادين من العثـار . وبقى الفارســان برهة يتبادلان نظرات تتطاير بالشرر ، ثم عاد كل الى مكانه ، فزوده تابعه برمح جديد .

وحل صمت رهيب ، وكان الجمهور كان يخشى حتى أن يتنفس .

وأعطيت الاشارة مرة أخرى ، فانطلقا مرة ثانية من معقليهما ، والتقيـــا فى منتصف الميـدان بنفس السرعة ، وبنفس البراعة ، ولكن ليس بنفس النتيجة .



وضرب بمقبض رمحه ترس الفارس

فقد سدد بوا جلبرت طعنة الى منتصف ترس خصـــمه ، كانت من الشدة لدرجة أن رمحه قد تكسرت الى شظايا و « الفارس المحروم من وطنه » أو الفارس الشريد كاد يسقط من فوق سرج جواده ٠

وكان الفارس الشريد يوجه ، في بداية هجومه سنان رمحه نحو ترس بوا جلبرت ، ولكنه في آخر لحظة غير خطة انقضاضه ، وسدده الى الخوذة ٠ والرأس هدف من الصعب ضربه ، ولكنه اذا أصيب ، فالأمل في النجاة ضـــعيف ، وكال هـــذا المجهول لخصــمه النورماندى طعنه نجلاء فانقطع سرجه ٠ فكبا الجـواد وانطرح بوا جلبرت أرضا ، وتدحرجا على الأرض تحت سحابة من الغبار ٠

وتخلص بوا جلبرت من جواده سريعا واستل حسامه ، وقـد جن جنونه من فشله ، ومن هتـاف الجماهير ٠ وأخذ يلوح بسيفه لقاهره ٠ وقبل الفارس الشريد التحدى ، وقفز مترجلا عن جواده ، وجرد سيفه هو الآخر ٠ ولولا أن نزل الحكام بجيادهم الى الساحة ،

ليفرقوا بين المتبارزين لما وقف القتال ، وذكروهما أن قوانين المباراة لا تسمح بمثل هذا القتال •

**فقال بوا جلبرت لخصمه والحنق يتناثر على جوانب كبريائه المحطمة :**

ــ عشمى أن نلتقى ثانية ، حيث لا يوجد من يفرق بيننا •

**فقال الفارس الشريد :**

ــ واذا لم نلتق ، فلن أكون أنا السبب • فأنا رهن اشارتك ، وعلى أتم الاستعداد لمنازلتك راجلا أو راكبا ، وبالرمح أو بالفأس أو بالسيف •

واسكتهما الحكام بالمرور بينهما برماحهم المشرعة •

وطلب الفارس المنتصر قدحا من الشراب ، وفتح خوذته ليشرب قائلا :

ــ الى جميع القلوب الانجليزية الأصيلة والى الانتصار على النورمانديين •

ثم طلب اعلان المتحدين انه على استعداد لمقابلتهم جميعا حسب النظام الذى يختارونه هم ٠

وكان أول من نزل الى الميدان هو العملاق فرونت دى بـواف ، المدجج بالدرع الأســود ٠ وتفوق عليـه الفارس الشريد تفوقا طفيفا ، ولكنه تفوق غير مشكوك فيه ٠ وفى لقائه مع مالفيزون تفوق عليه أيضا ، لأنه لطمه لطمة شديدة تسببت فى اطاحة الخوذة من فوق رأسه ، وأعلنوه بهزيمته مثل رفيقه ٠ وفى معركته مع دى جرانتمسنل أبدى الفارس الشريد أدبا جما ٠ كان جواد دى جرانتمسنل صغيرا ، وفى هجومه أخذ يقفز بطريقة أحدثت خللا بهدف راكبه . فرفض الفارس الشريد استغلال هذا الحادث ، ورفع رمحه وترك خصمه بدون أن يلمسه ٠ ثم اتجه الى طرف الميدان ، وعرض على خصمه فرصة لقاء ثانية ٠ ولكن دى جرانتمسنل رفض ذلك قائـلا بأن غريمه لم يهزمه بمهارته فقط ، ولكن

بادبه أيضا • وكان رالف دى فيبون آخر المتحدين •

وكان من نصيبه الانطراح أرضا بقوة شديدة ، حتى أن الدم سال من أنفه وفمه وحمل خارج الميدان فاقد الوعى •

وبعدهـــا أعلن الأمير ، وســـط هتافات آلاف الجماهير ، بأن مفاخر اليوم يكلل بها الفارس الشريد •!

★★★

الفصل السابع

## اختيار ملكة الجمال

كان أول من حيـا الفارس المنتصر ، هم حكـام المباراة • وطلبوا منه أن يخلع خوذته ، أو يفتحها على الأقل ، ليظهر وجهه ، قبل أن يقودوه لاستلام جائزة مباراة اليوم • فاعتذر الفارس الشريد عن هذا الطلب بأدب • وهكذا أبلغ الحكام الأمير رغبة المنتصر فى أن يظل غير معروف •

وامتعض جون لذلك ، والتفت الى حاشيته قائلا :

ـ هل تعلمون من يكون هذا البطل المعتز بنفسه ؟

فعلى همس من بينهم قائلا :

– لعله الملك ، لعله ريتشارد قلب الأسد نفسه .
فاصفر وجه الأمير جون عند سماعه اسم أخيه ،

والتفت الى الفرسان المحيطين به قائلا :

– والدمار .. دى براسى ... أيهـــا الســادة والفرسان الشجعان ، تذكروا وعودكم التى قطعتموها لى بتأييدى ونصرتى على أخى .

فقال والدمار :

– اطمئن ، لا يوجد أى خطر يا مولاى . فضخامة هيكل أخيك وأطرافه الهائلة لا يمكن أن تدخل فى هذه الحلة المدرعة التى أمامنا .

وأحضر الحكام الفارس الشريد أمام الأمير جون ، الذى لا زال يشعر بالقلق ، فامتدح الفارس فى كلمات مقتضبة ملجلجة ، وسلمه اعنة جواد حرب أصيل هو جائزة الفوز . وكان يرتعش وهو يقوم بذلك ، خشية

أن تاتيه اجابة من هذه الخوذة المغلقة بصوت ريتشارد قلب الأسد ونبراته العميقة المفزعة ٠

ولم يتكلم الفارس الشريد اطلاقا ردا على الأمير ، ولكنه انحنى انحناءة جليلة ٠ ثم وضع يده على ظهر الجواد ، وقفز على صهوته ٠

وهمس الراهب جـــورفولكس للأمـير ليـذكره باختيار ملكة الجمال لمهرجان اليوم التالى ٠

فقال الأمير جون ٠

ـ أيها السيد الفارس الشريد ٠٠ ان من واجبك أن تختار الفتـاة الجميلة التى ستكون ملكة الجمـال والحب لمباراة الفرسان فى اليوم التالى ٠ والآن أرفع رمحك ٠

فأطاعه الفارس وعلق الأمير على سنانه اكليلا من الحرير الأخضر الموشى بالذهب ٠

وطاف الفـارس الشريد فوق جائزته ، الجـواد الأسـود المطهم ، وكأنه يتفحص وجـوه الحســناوات

العديدات اللاتى يزين هذا المضمار البديع • فتضرجت وجوه بعض الفتيات بالحمرة خجلا ، ورسمت بعضهن على وجوههن نظرة فخار واعتزاز ، وتظاهرت بعضهن بجهلهن لما يحدث ، كما ارتدت بعضهن الى الوراء فى وجل ، بينما ضحكت ثلاث أو أربع بصوت مرتفع •

ووقف الفارس أخيرا عند المدرج الجالسة فيه ليدى روينا • وظل واقفا فى مكانه لأكثر من دقيقة ، بينما تعلقت عيون الجمهور الصامت على حركاته وسكناته • ثم أنزل سنان رمحه بالتدريج وبرشاقة الى أن وضع الاكليل عند أقدام روينا الفاتنة •

★★★

## الفصل الثامن

# الوفاء

وعندما وصـــل الفـــارس الشريد خيمته ، عرض عليه كثير من الخدم والسياس أن يساعدوه فى خلع درعـــه ، فالكل يرغب فى أن يعرف من هو · ولـــكن الفارس رفض مساعدتهم ، واكتفى بمساعدة تابعه له ، الذى كان فظ الهيئة ، يخفى رأسه ونصف وجهه تحت قبعة سوداء كبيرة ، محاولا أن يتخفى مثل سيده ·

وما كاد الفارس ينتهى من تناوله لوجبة طعـــام سريعة حتى أبلغه تابعه ، بأن خمسة رجال يقودون اليه خمسة جياد ، يريدون لقاءه · فارتدى الفارس عباءة طويلة وقبعة تخفى ملامحه ، ثم اتجه الى مدخل خيمته·

فوجد هناك خدم متحديه الحمسة · وتقدم الأول نحوه قائلا :

– طبقا لقوانين المباراة ، أنا ، بولدوين ، خادم الفارس المشهور ، بريان دى بوا جلبرت ، أقدم لك جواده ودرعه الذى قاتلك بهما اليوم ، فلك أن تحتفظ بهما ، أو تسمح له بشرائهما منك · حسب ما تراه أنت ·

وكرر الأربعة الآخرون نفس الكـلام ، ثم وقفوا جميعا فى انتظار قرار الفارس الشريد ·

**فأجاب الفارس موجها كلامه لهؤلاء الخدم الأربعة :**

– عندى اجابة واحدة لكم : لن أقبل منهم الجياد ولا الدروع التى لن تفيـد من هم أكثر شـجاعة ، ولكن ، طـالما أنى فعلا شريد بلا وطن ، وحتى الدرع الذى أرتديه ليس ملكى ، فلابد أن أقبل أن أفتديها بالمال الذى يعرضونه ·

**فكانت الاجابة :**

ـ لقد أمرنا أن نعرض مائة قطعة ذهبية فدية لهـا ٠

فقال الفارس :

ـ هذا يفى بحاجتى ويزيد ٠ فمطالبى الحالية تفرض على قبول نصـف هـذا المبلـغ ٠ أما الباقى فاقتسموه بينكم ٠

فشكره الخدم على كرمه غير العادى ، وانحنوا له اجلالا ٠

ثم التفت الفارس الى خادم بريان دى بوا جلبرت وقال :

ـ أما عن سـيدك فانى لا أقبل منه جوادا ولا سلاحا ولا فدية ، وقل له ، عنى ، أن معركتنا لم تنته بعد ٠٠ ولن تنتهى حتى نتبارز بالسيوف ، وبالرماح ، على أقدامنا وعلى صهوة الجياد ٠ لقد تحدانى أن أقاتله حتى الموت ، وانى لن أنسى ذلك ٠

ودخل الفارس خيمته ، وقال مخاطبا تابعه :

ـ وهكـذا يا جورث لا أخـل بسـمعة قواعد الفروسية الانجليزية ٠

فقال جورث :

ـ وأنا أيضا ، بالرغم من أنى راعى خنازير ، فلم أسىء الى دور الخادم النورماندى لفارس مدجج بالسلاح٠ ولكن اذا اكتشفونى ٠٠٠٠

فقال الفارس :

ـ كفى ! انت تعرف ما وعدتـك به ، وسـوف أكافئك على مخاطرتك التى تقوم بها من أجلى ٠ اليك ، هذه القطع الذهبية العشر ، خذهـا لنفسك ، واحمل هذه الحقيبة المملوءة بالذهب الى آشبى ، وابحث عن اسحق اليهودى ، ودعه يدفع ثمن الجواد والدرع الذين اقترضتهما من صديقه ٠

كان اسحق وابنته يقيمان فى منزل ثرى يهودى بالقرب من قرية آشبى ٠

وفى غرفة صغيرة ولكنها جميلة ، جلست ربيكا

تتحدث مع أبيها . ومع حلول الظلام ، دخل خادم يحمل مصباحين من الفضة ، بينما وضـــع خادم آخر بعض الأطعمة والمشروبات ، فوق منضدة فضية صغيرة. وفى نفس الوقت أخبر الخادم اسحق اليهودى بوجود شخص يرغب فى التحدث معه . وبعد ما أمر ابنته ربيكا بأن تتحجب وافق اسـحق بالسـماح للغريب بالدخول .

ودخل جورث قائلا :

ـ هل أنت اسحق يورك ؟

فاجاب اسحق :

ـ نعم ، أنا . ومن تكون ؟ ومن الذى أرسلك ؟

ـ أرسلنى الفـارس الشريد ، الفائز بمبـاراة الفرسان اليوم . لأحضر لك ثمن الدرع الذى اقترضـه ، أما الجواد فهو بالخارج . أود أن أعرف المبلغ الذى عليه أن يدفعه للدرع .

**فقال اسحق بسرور :**

– لقد قلت أنه شاب طيب . كم معك من نقود ؟ لقد أتيت بمائة قطعة ذهبية فى هذه الحقيبة أو أكثر ... انها ثقيلة .

**فقال جورث :**

– انى أضع فيها رؤوس أسهم !

**فقال اسحق** وهو يتمزق بين حبه المعتاد للربح وبين رغبة وليدة لأن يكون كريما فى الحالة الراهنة :

– حسن .. لو اننى قلت ثمانين قطعـة للجواد والدرع ، فهل لديك ما يكفى لأن تدفع لى هذا المبلغ ؟

**فقال جورث :**

– يكفى بالكاد . ان الجواد لم يصب بسـوء ، ويمكنك أن تراه بالخارج . وسبعون قطعة كافية مقابل الدرع . واذا لم تقبلها ، فسأحمل هـذه الحقيبة عائدا بها الى سيدى .

فقال اسحق :

ـ لا ، لا ، ضع النقود ... الثمانين قطعة ... وسوف ترى معاملتى الكريمة لك .

ووضـــع جـورث النقود . وبدأت يد اليهـودى ترتعش ، وهو يعد السبعين قطعة الأولى . أما القطع العشر الأخيرة ، فأخذها ببطء شديد ، وهو يترنم قائلا:

ـ واحد وسبعون .. اثنان وسبعون ، ان سيدك شاب طيب ... ثلاث وسبعون ، شـاب ممتاز ... أربع وسبعون ... يبدو أن هذه القطعة وزنها أقل ... خمس وسبعون ، وهذه أيضا تبدو خفيفة ... ست وسبعون ... سبع وسبعون ...

وتعلق أمل جورث فى انه سيعطيه الثلاث قطع الأخيرة ، ولكن العدد استمر :

ـ ثمان وسبعون ، انك انسان طيب .. تسع وسبعون ، وتستحق شيئا لك .

وهنـا توقف اسـحق مرة أخرى . ونظـر الى

القطعة ، وكانت جديدة ، دسمة ، كاملة الوزن ، لا يمكن أن يفارقها ، فقال :

ـ ثمانون وبهذا يكتمل العدد ... وعشمى أن يعطيك سيدك شيئا . بالتأكيد لديك نقود أكثر فى الحقيبة ، أليس كذلك ؟

فضحك جورث وقال :

ـ حوالى نفس المبلغ الذى حرصت فى عده توا .

فقال اليهودى :

ـ ربيكا ، هذا الشخص كان حاذقا معى للغاية ، ولكن سيده شاب طيب .

ولكن ربيكا كانت قد غادرت الغرفة . ونزل جورث السلم الى أن وصل للبهو المظلم ، وعندما تحسس طريقه نحو الباب ، شاهد شخصا فى ملابس بيضاء ، ممسكا مصباحا فضيا صغيرا . وأشارت فتاة له ليدخل غرفة جانبية صغيرة ، فأطاع وتبعها . وفى داخل الغرفة اكتشف مندهشا أنها اليهودية الفاتنة

التى رآها في المهرجان ، ومن برهة وجيزة ، في غرفة والدها • فقالت ربيكا :

ـ أيهـا الانســان الطيب ، ان أبى يمزح معك فقط • انه مدين لسيدك بعطف أعمق من قيمة الجواد والدرع ، بل أضعاف ذلك عشرات المرات • كم دفعت لأبى توا ؟

فقال جورث مندهشا من السؤال :

ـ ثمانين قطعة ذهبية !

فقال ربيكا :

ـ فى هذا الكيس ، ستجد مائة • اعط سيدك ما يستحقه ، وخذ الباقى لك • والآن ، هيا أسرع ••• وكن على حذر وأنت تسير فى هذه البلدة المزدحمة ، والا ستفقد نقودك ، وحياتك بسهولة •

واخذ جورث يكلم نفســه وهو يسير فى طريقه المعتم :

– باسم القديس دانستان ، انها ليست يهودية ، بل ملاك من السماء ! عشر قطع ذهبية من سيدى ٠٠٠ وعشرون من هذا الملاك ! ٠٠ أوه ، يا له من يوم سعيد ! مبلغ آخر مثل هذا وأشترى حريتى ٠

★★★

الفصل التاسع

## جورث وسط الخارجين على القانون

لم تنته بعد مغـامرات جورث · وفى الحقيقة ، لم يتوقع هو نفسه أن يحدث ذلك · فبعد أن تـــرك أطراف القرية ، وجد نفسه فى ممر ضيق يجرى بين ضفتين تكسوهما الأشجار والأدغال ، بينما تتمطى هنا وهناك سنديانة عتيقة. باسطة أطرافها المتشـابكة عبر الممر ···

وكان الممر مليئا بالمطبات والحفر ، بسبب عجلات العربات التى نقلت مؤخرا مختلف الأثقـال والأغراض

ومنذ أن ترك القرية ، وهو يسمع أصواتا بعيدة ، وضحكات تقطعها صرخات أحيانا ، وأحيـــانا أخـرى موسيقى غجرية · وتسببت كل هذه الأصوات ، التى تنبىء عن حالة الفوضى فى المدينـة المزدحمة بالفرسان وتابعيهم فى شعور جورث ببعض القلـــق ، فاخـــذ يقول لنفسه :

ـ كانت اليهودية على حق · اتمنى يـا الهى أن انتهى من رحلتى هذه بالسلامة ، وأنا مع كل هذا الكنز· فالمنطقة تموج بمن يهيم ويتجول ، من فرسان وأتباع وجنود وخدم · وأى امرىء معه شلن واحد سيكون فى خطر ··· فما بال راعى خنازير فقير ، ومعه حقيبـــة مكتنزة بالذهب · ياليتنى كنت خارج هذه الأدغـــال الملعونة ، حتى أرى أى لص ، قبل أن ينقض على كتفى ·

وأسرع جورث الخطى ، حتى يصـــل الى الأرض المكشوفة التى يؤدى الممر اليها ، ولكنه لم يكن محظوظا لانجاز هذا الهدف المتواضع · فعندما وصل الى نهـاية الممر ، حيث تشتد الأدغال كثافة ، قفز عليه أربعـــة

رجال ، اثنين من كل جانب ، وقبضوا عليه · كـانت المقاومة مستحيلة · **وقال احدهم :**

ـ سلم مالك تسلم · نحن أهل الخلاص ، نخلص الناس من أثقالهم ·

**فتمتم جورث :**

ـ لن يحدث هذا بسهولة · سأدافع حتى آخـــر نفس ·

**فقال طريد القانون :**

ـ سنرى ذلك حالا ·

ثم حدث رفيقه ، **قائلا :**

ـ اسحبه · انه يريدنا أن نهشم رأسه ، ونمزق حقيبة ماله ·

ودفعوا بجورث وسحبوه بخشونة فوق الضفـــة اليسرى · فوجد نفسه بين الادغال الكثيفة ، التى تمتد حتى السهل المكشوف · واقتادوه الى أعماق الغـابة ·

واوقفوه في أرض مكشوفة ، عارية من الأشجار ، تسقط عليها اشعة القمر بحرية · وهنا التحق بالاربعة الخارجين على القانون آخرون ، يبدو أنهم ينتمون لنفس العصابة · فهم يرتدون ملابس خضراء ، ويمتشقون سيوفا قصيرة، ويحمل كل منهم هراوة في يده · عندئذ ، استطـاع جورث أن يتحقق من وجوههم ، فكانت تحجبها غلالة سوداء ، معقودة من تحت عيونهم · وقـــال واحد من الخارجين على القانون :

ـ كم معك من نقود ، يا رفيق ؟

فاجاب جورث :

ـ ثلاثون قطعة ذهبية ، التى هى ملكى ·

فقال رئيسهم :

ـ ان هذه الحقيبة تحتـــوى على أكثر من ثلاثين قطعـــة ·

ـ انها تخص الفارس الطيب ، سيدى ، الـذى

لمباراة الفرسان • كما أنه كان مظلما ، بسبب الادغال التي تحجب ضوء القمر ••
أخدمه • وكان لا يجب أن أخبركم عنها •

**فقال واحد منهم :**

ـ انك رجل شريف ، فتعامل معنا بصـــدق •
سلّم حقيبتك ••• مؤقتا • من هو سيدك ؟

ـ الفارس الشريد •

ـ ••• الذى فاز بالجائزة فى مباراة اليوم ؟

**فاجاب جورث :**

ـ أجل • وهذه الحقيبة بها ثمن الجياد والدروع الأربعـة •

**فسأل الخارج على القانون :**

ـ كم بها ؟

ـ مئتا قطعة ذهبية •

**فقال الخارج على القانون :**

ـ مئتان فقط ! لقد عامل سـيدك المهـزومين بكرم · لقد هربوا بثمن بخس · من دفع النقود ؟ قل أسماءهم ·

فعل جورث ذلك ··

**فقال له الخارج على القانون :**

ـ وما هو الثمن الذى دفع مقابل درع فـارس الهيكل ، بريان دى بوا جيلبرت وجواده ؟ واحـذر فانت لا تستطيع خداعى ·

**فقال جورث :**

ـ ان سيدى لا يقبل شيئا من فـارس الهيكل ،

الا حياته · فالتحدى بينهما هو القتال حتى الموت ·

**فقال الخارج على القانون :**

ـ حقا ، وماذا تفعل أنت الآن فى أشبى ، بكل هذا المال ؟

ـ ذهبت لاسحق اليهودى لادفع له ثمن الدرع الذى اقرضه لسيدى من أجل هذه المباراة ·

**فساله الخارج على القانون :**

ـ وكم دفعت ؟ فلا يزال فى الجعبة الكثير ·

ـ دفعت لاسحق ثمانين قطعة ، ورد هو لى مائة ·

**فقالوا جميعهم فى وقت واحد :**

ـ كم ! ماذا ! هل تجرؤ على الكذب علينا !

**فقال جورث :**

ـ ما أقول لكم الا الحقيقة · ستجدون هذا المبلغ فى كيس من حرير ، منفصل عن باقى الذهب ·

**فقال رئيسهم :**

ـ احضروا مصباحـا ! سأفحص هــذه الحقيبة بنفسى ·

وأتوا بالمصباح ، والتف الخارجون على القـانون حــول رئيسهم ، حتى أن من كانوا يمسكون بجورث

رفعوا أيديهم عنـــه ، فانتهز جورث هذه الفرصـــة ، وانتفض بشكل مفاجىء محررا نفسه والتقط هراوة من احد الرجال ، ونزل بها على الرئيس ، واسترد الحقيبة ثانية ، ولكن الخارجين على القانون كانوا اسرع منه ، وقبضوا عليه مرة أخرى ٠

**وقال الرئيس وهو ينهض :**

ـ عليك اللعنة ! لقد هشمت رأسى ٠ مع رجال غيرنا لكنت فى خبر كان ٠ ولكنك ستعرف حظك فى الحال ٠

**وقال موجها كلامه للخارجين على القانون :**

ـ يارجال ، ان مال الفارس لابد أن يترك حرا ٠ انه من صنفنا ويشبهنا كثيرا ، والكلاب الأصيلة يجب الا تقلق ابناء جنسها ، بينما الذئاب والثعالب موجودة بكثرة ٠

**فقال احد الخارجين على القانون :**

ـ يشبهنا ؟!

ـ أجل ۰۰۰ أليس فقيرا وشريـدا مثلنا ؟ ألم يكسب نقوده بحد السيف ، مثلنا ؟ ألم يضرب فرونت دی بواف ومالفيزون ، كما لو كنا سنضربهم لو تمكنا ؟ وتودون أن نعامله بكرم أقل مما عامله به اليهودی ۰

**فاجاب خارج على القانون آخر :**

ـ لا ، هذا عار علينا ۰۰۰ ولكن هـذا الشخص الوقح ، أيذهب هكذا دون تأديب ؟

**فاجاب الرئيس :**

ـ هذا اذا استطعت أنت ان تؤدبه ۰

**ثم التفت الى جورث قائلا :**

ـ لقد نفحتنی ضربة قوية بتلك الهراوة ، فلنرى ان كنت تستطيع ذلك مع هذا الشخص ، وسـنعطيك حريتك ۰ خذ هراوتك ياميلر ۰ وانتم يا رفاق ، اتركوا هذا الشخص ، واعطوه هراوة ۰ والضوء كاف ليريـا بعضهما ۰

وتقدم كل من الرجلين مسلحا بهراوته الى وسط الساحة المكشوفة ، حتى يحصلا على أكبر قدر من ضوء القمر ٠

**وصرخ الخارجون على القانون :**

ـ خذ حذرك ياميلر !

وامسك ميلر بهراوته من منتصفها ، وادارها من فوق رأسه **وصرخ فى** تباه :

ـ تقدم ايهـــا الشخص ، ان جرؤت على ذلك ، فستجرب مدى قوة ذراعى !

**فأجابه جورث ، وهو يلعب بسلاحه حول راسه بمهارة متساوية :**

ـ الرجل الشريف لا يخاف لصا ٠

وهكذا تلاحم الرجلان ، ولبضع دقائق أبديا قوة وشجاعة ومهارة متساوية ٠٠ وكان كل منهما يكيـــل الضربات لخصمه بسرعة خاطفة ٠ ومن صوت سلاحيهما،



وهكذا تلاحم الرجلان

سيعتقد أى شخص ، من بعد ، بأن هناك ستة أشخاص على الأقل فى كل جانب ٠

وطال النزال وبمهارة متساوية ٠ ولهذا بدأ ميلر يفقد هدوء طبعه ، ويغضب لهذه المقاومة القـــوية من خصمه ، وخصوصا عندما سمع ضحك زمـلائه الـذين يستمتعون ، فى مثل هذه الحالات ، باغاظته ٠ وهذه الحالة الذهنية ، غير مرغوبة ازاء هذه اللعبة النبيلة ، التى تتطلب أقصى برود أعصاب ، وأعطى هذا جورث فرصة يتميز بهـــا على خصمه ، خاصة وأنه كان متمالكا لنفسه ٠

وتقدم ميلر فى غضب ، ضـــاغطا بضرباته مرة بيمين هراوته وأخرى بشمالها ، بينما جورث يدافع عن نفسه ضد هذا الهجوم الضاغط ، باعدا بين يديـــه بحوالى ياردة ، وملوحا بسلاحه بسرعـة فائقة ، حتى يحمى كلا من رأسه وجسده ٠ وأخيرا لاحظ جــورث أن خصمه بدأ يتعب ، فالقى بهراوته على وجهه بيده اليسرى ، وعندما حاول ميلر أن يتفادى الضربة ، أنزل

يده اليمنى بجوار يسراه ، وبادارة سلاحه دورة كاملة ضرب خصمه على جانب رأسه الأيسر · فسقط ميلـر ممددا على الأرض ·

**وصاح الخارجون على القانون :**

ـ أحسنت !

**وقال الرئيس :**

ـ ايها الصديق · انت حر طليق · ولكن تذكر ما أقوله لك : لا تسأل عن أسمائنا ، ولا تحاول أن تعرف من أو ماذا نكون ··· والا ستلقى ما لا تعرفه من حظ عاثر ·

وشكر جورث الرئيس ، ووعده بان يفعـــل مـا نصحه به · ورفع اثنان منهما بهراوتيهما ، وأمرا جورث أن يتبعهما · وساروا فى ممر ضيق يخترق الغـابة ، ثم الاخدود القريب · وعند نهاية الغابة تحدث اثنـان آخران مع حارسيه اللذين همسا باجابة لهما ، فسمحوا

لثلاثتهم بالمرور • فادرك جورث أن الخارجين على القانون أقوياء ، ولهم حراسة منظمة حول اماكن تجمعاتهم •

وعند وصولهم الى السهل المكشـــوف ، خـــاف الخارجان على القانون أن يجد جورث مشقة فى العثــور على طريقه ، فقاداه حتى قمة تل صغير • واستطاع من هناك ان يرى ميدان مباراة الفرسان ، منبسطا تحتــه فى ضوء القمـــر • والسرادقات تتلألأ فى كلا الطرفين بالأعلام التى تزينها وتسبح مع أشعة القمــر ، وبــدأ يسمع أغنية الرجال المدججين بالســلاح الذين يقومون بنوبة الحراسة •

وهنا توقف الخارجان على القانون وقالا :

– لن نسير معك أبعد من هذا • فليس من الأمان ان نفعل ذلك • وتذكر الانذار الذى قيل لك • واحتفظ بسر ما حدث لك اليوم • انســـاه ••• فحتى بــرج لندن ، لن يحميك من انتقامنا •

فقال جورث :

ـ مع السلامة ياكرام · سأتذكر أوامركم ، وآمل الا أسيء لكم اذا دعوت لكم بمهنة أكثر أمنا وشرفا ·

وهكذا افترقا ، وتابع طريقه الى أن وصل لخيمه سيده ، الذى أطلعه على كل مغامراته لتلك الليلة ، رغم تحذير رئيس الخارجين على القانون ·

وملأت الدهشـــة الفارس الشـــارد لكرم ربيـكا والخارجين على القانون · وتمدد على أريكة لينام ، بينما ألقى جورث المخلص بجسده المرهق على فراء دب ملقى عبر فتحة الخيمة ، حتى لا يستطيع أحد أن يدخلها بدون أن يوقظه ·

★★★

## الفصل العاشر

# اليوم الثانى لمباراة الفرسان

واشرق الصباح فى صحوة بديعة ، وغصت الساحة بالجماهير المسرعة لتأخذ أمكنتها من المدرجات · وفى الساعة العاشرة انطلقت الموسيقى معلنة قدوم الأمير جون وأتباعه · وفى نفس الوقت أقبل سدريك السكسونى وليدى روينا ، ولم يكن اثلستين معهما ، حيث ارتدى درعه وسيحارب بجانب بوا جلبرت · وكان لديه سبب لذلك · وبالرغم من أنه كان كسولا فى اظهار تودده ، نحو ليدى روينا ، الا أنه لم يكن غافلا عن جمالها وسحرها · كما كان يعتبر ارتباطه بها مسألة منتهية لأن سدريك وافق عليها من قبل · ولذلك ، فلقد

استياء عندما رأى الفارس الشارد يختـــار ليدى روينا كملكة للجمال • وقرر اذا سنحت له الفرصـــة ، أن يشعر الفارس الشارد بوطأة سلاحه الثقيل •

وعندما شاهد الأمير جون ملكة الجمال المنتخبـة تصل الى الساحة ، ركض بجواده للقائها ، وخلع غطاء رأسه ، وترجل من على جواده ، وساعد ليدى روينـا للنزول من ظهر جوادها • وقام أتباعه بكشف رؤوسهم فى نفس الوقت ، وترجل واحد من أعرقهم نبالة ليمسك بجوادها •

وقال الأمير جون :

ـ وهكذا نقدم مثالا للاخلاص لملكة الجمـــال • ونقودها بنفسنا الى العرش الذى يجب أن تعتليه اليوم . حيوا معى أيتها السيدات ملكتكم !

وقاد الأمير روينا الى عرش الشرف المقابل لعرشه ، بينما تزاحمت أجمل وأبرز السيدات الحاضرات بعدها للفوز بأماكن قريبة من مليكتهم •

وحينما استوت روينـــا على عرشـــها ، صدحت الموسيقى وعلت هتافات الجماهير · ثم أعلنت قوانين المباراة · ممنوع على المتقـاتلين أن يندفعوا بسيوفهم ، انما يضربون فقط · لا يجب على فارس ممتطى جواده أن يتقاتل مع آخر ، فقد جواده ، ويقف على قدميـه · على القتال أن يتوقف عندما يعطى الأمير جون الاشارة ·

ودخل الفرسان من طرفى الساحـــة فى موكبين طويلين · ونظموا أنفسهم فى صفين ، متقابلين تماما · ويقف رئيس كل فريق فى المركز ، أمام فريقه ·

ياله من منظر رائع ··· ولكنـه مقلق فى نفس الوقت أن تحشد هذه الأعداد الهائلة من أفضل الرجال ممتطين جيادهم ببســـاطة ، ومســلحين بثراء ، واقفين مستعدين للقتال · وكانوا وهم جالسين فوق جيادهم ، كعمدان حديد متعددة ، منتظرين اشارة البدء بنفس شغف جيادهم الشجاعة ، التى تضرب الأرض بحوافرها فى صبر نافد ·

وحتى الآن ، والفرسان يرفعون رماحهم الى أعلى ،

فتسطع أسنتها اللامعة فى الشمس · وهكذا ، ظلوا ، بينما يتفحص الحكام كلا الفريقين ، ليتأكـــدوا من أن الأعداد متساوية · ثم انسحب الحكام ، وصاح وليم دى وايفل بصوت من الرعد بكلمة البدء :

ـ ابدأوا !

وعزفت الموسيقى ، وانخفضت رماح الفرسان فى الحال ، وحضت الجياد على الانطلاق · واندفع الصف الأول من كل فريق منقضا كل على الآخر بسرعة هائلة ، فالتقيا فى منتصف الميدان فى ارتطام ، يسمع صوته من على بعد ميل · وتقدم الصف الثانى من كل فريق بخطوة أبطأ لمساندة الصف الأمامى ·

ولا يمكن رؤية نتائج المعركة فى البداية ، بسبب عتمة الهواء ، من الغبار المتصاعد من أقدام الجياد العديدة والبعض قد سقط على قدميه ، ويتلاحم مع خصمه يدا بيد · والبعض اصيب بجراح ويحاول أن يوقف نزيف دمه ، ويخرج من المعركة · والفرسان الذين مازالوا على جيادهم ، وكسرت رماحهم يحاربون بسيوفهم ·

وازداد الارتباك بتقدم الصفين التاليين ، واندفع فرسانهما لمساعدة رفاقهم ٠

**فصاح اتباع بوا جلبرت :**

ـ من أجل الهيكل ! من أجل الهيكل !

**وصاح الحزب الآخر قائلين باللغة الأسبانية :**

ـ الفارس الشريد ! الفارس الشريد !

وأخذت المعركة تموج نحو الطرف الشمالى ، ثم نحو الطرف الجنوبى من الميدان ٠ واختلطت اصــوات السيوف وهى تقرع الدروع ، مع صرخات المحـــاربين خليطا مخيفا مع الموسيقى فتحجب أنات من يسقطـــون يتلوون عاجزين تحت سنابك الخيول ٠ وتلطخت الدروع الرائعة بالنفايات والدم ٠ وتقطع الريش الزاه اللعوب ، من فوق الخوذات ، سابحا فوق موجات النسيم مثـــل ندف الثلج ٠ واختفى كل ما هو جميـــل ورشيق فى المشهد ، ولم يبق الا ما يثير الشعور بالرعب والشفقة ٠

وقلت أعداد كلا الطرفين ، حيث استسلم كثيرون

أو اضطروا لمغادرة الميدان· وأخيرا، التقى بوا جلبرت، والفارس الشريد يدا بيد · وكانت مهارة كل منهما فى الضرب ، والدفاع عن نفسيهما شيئا يفوق الوصف مما جعل المشاهدين يطلقون صيحات متعة واعجاب ·

وفى هذه اللحظة ، حدث لجانب الفارس الشريد أسوأ ما فى المعركة ، اذ كان فرونت دى بواف بدرعه المهول فى طرف ، واثيلستين بقوته الثقيلة فى الطرف الآخر ، يكتسحان ويشتتان كل هؤلاء الخصوم · وعندما تخلصا منهم جميعا ، استدارا ، وفى نفس اللحظة ، بجواديهما ، وخفا لمساعدة بواجلبرت فى قتاله ·

وأدرك الناس أن الفارس الشريد لا يستطيع أن يقف أمام هذه الهجمة المفاجئة وغير المتكافئة من ثلاثة رجال فى وقت واحد ·

فتعالت الأصوات من كل جانب تقول :

ـ حذار أيها الفارس الشرير حذار !

فتنبه هذا للخطر المنقض عليه ، فعالج بوا جلبرت

بضربة شديدة ، ثم تراجع بجـواده للوراء ، ليتفـادى هجمة ايثلستين وفرونت دى بواف · فهـذان الاثنان ، اندفعـا من الطرف المقابل ، وكادا يصطدمان ببعضها البعض · ثم اسـتدارا بجواديهما ، ولاحـق الثلاثـة الفارس الشريد ·

ولم ينجده سوى قوة ونشاط جواده الذى فاز به فى اليوم الأول · وبقى يداور الثـلاثة ، بسرعة طائر مرتجل ، فأبقى اعداءه بعيدا عنه قدر الامكان · واندفع مواجها هذا ، ثم ذلك ، مسددا بسيفه ضربات كاسحة، غير منتظر تلك الموجهة اليه ·

وطلب الحاشية من الأمير أن يعطى اشارة انتهاء القتال ، ليجنب هذا الفارس الشجاع هزيمة لا يستحقها بتكالب أعداد أكبر عليه ·

**فرفض الأمير جون وقال :**

ــ ان هذا السفيه المتنكر الذى يخفى اسمه ، قد فاز بجائزة المباراة الأولى ، والآن دع غيره ينال حظه ·

ولكن أثناء حديثـه ، غير حادث غير متـوقع حظ

اليوم كله · فقد كان فى فريق الفارس الشريد رجل فى درع أسود ، ممتطيا جوادا أسود ، كلاهما ، الرجل والجواد ، يبدو عليهما البأس والقوة ، وحتى تلك اللحظة لم يظهر الفارس الاسود أى اهتمام بالقتال ، مكتفيا بصد الهجوم اذا هوجم ، فلم يتعقب فارسا ولا تحرك للهجوم على أحد · فاطلق عليه الجمهور لقب « الفارس الخامل » !

وعندما رأى الفارس الأسود قائد جماعته يهاجم بهذ الشراسة ، تخلص من خموله وهجم لمساعدته ، وهو يصيح :

ـ الى نجدتك أيها الفارس الشريد !

وكان هذا هو الوقت بالفعل ، لأنه بينما كان الفارس الشريد يشد على بوا جلبرت ويضيق الخناق عليه ، كان فرونت دى بواف قد اقترب مشهرا سيفه الى أعلى ، ولكن قبل أن تنزل الضربة ، كان إلفارس الاسود قد عاجله بضربة على أم راسه ، فاطاح السيف بالخوذة المصقولة وسقطت على رأس الجواد المسكين ، وسقط هو

وجواده على الأرض فاقدى الصـــواب · ثم انثنى الفارس الأسود على اثلستين ، وكان سيفه قد انكسر فى لقـائه مع فرونت دى بواف، فانتزع الفأس من يد السكسونى، وهوى بها على أم رأســـه ، فســقط جثـة هامدة فى الميدان · ثم عاد بهدوء الى مكانه فى الطرف الشـــمالى من الميدان، تاركا قائده ليتعامل مع بواجلبرت بمفرده ·

ولم يعد هذا موضوع يشكل صـعوبة كما كان سابقا · اذ كان جواد بوا جلبرت خائرا من فقدان الدم ، فانهار تحت وطأة هجوم الفـارس الشريد · وســـحل بواجلبرت فوق أرض الميدان ، لأن قدمه قد اشـتبكت فى الركاب ولم يستطع أن يحرر نفسه أو يقف · وقفز خصمه من على جواده ، ولوح بسيفه فوق رأس غريمه وأمره أن يستسلم· ورأى الأمير جون ، الخطر المحدق ببواجلبرت ، فأعطى الاشارة لايقاف القتال ·

وهكذا انتهت أشهر مباراات آشبى · أربعـــة فرسان قد لاقوا حتفهم فى الميـدان ، وثلاثون مصابون اصابات خطيرة · منهم أربعة أو خمسة لن يشفوا منها·

وقاد الحكام الفائز ، عبر ميدان مبلل بالدماء الى أقدام عرش الامير ، الذى قال :

ـ أيها الفارس الشريد ، طالما بهذا الاسم فقط ستقبل أن نعرفك ، نمنحك للمرة الثانية شرف هـذه المباراة ، ونبلغك انه من حقك أن تستـلم من يد ملكة الحب والجمال تاج الشرف الذى تستحقه شجاعتك بجدارة ٠

فانحنى الفارس بشدة ، ولكنه لم يجب٠٠ وصدحت الموسـيقى ٠٠ ولوحت السيدات بمناديلهن الحريرية ، بينما اشـترك الجميع فى الهتـاف والتصـفيق ٠ وقاد الحكام الفارس الشارد الى قدم عرش ليدى روينا ، وكان يبدو عليه عدم القدرة على المشى ٠ وجعلوه يركع عـلى ركبتيه ونزلت ليدى روينا من فوق عرشـها ، وهمت بوضع التاج على خوذته ، فصاح الحكام :

ـ يوضـع التاج عـلى الرأس ، فلابد أن يحسر الفارس الخوذة عن رأسه ٠ فتمتم الفارس ببضع كلمات ضاعت فى تجويف خوذته ، ولم يعر الحكام أى اهتمام

بما عبر عنه بعدم رغبته · وانتزعوا خوذته · فبدا وجه شاب جميل الملامح ، لوحته الشمس ، فى الخامسة والعشرين من عمره ، وقد علتــه صفرة كصفرة الموت ، مع جرح أو اثنين مغطيان بالدم ·

وما أن لاحظته روينا ، الا وأطلقت صيحة باهتة · وأجبرت نفسها على أن تواصل ، ووضعت التاج ، بيد ترتعش من الشجن ، فوق رأس الفائز الواهنة ·

وطأطأ الفارس رأسه ، وقبل يد الملكة الحلوة ، ثم خر مغشيا عليه عند قدميها ·

وحــدث ارتبـــاك عام · واندفع سدريك ، الذى ألجمته الصدمة بالظهور المفاجىء لابنه المنفى ، ولفريد ايفانهو ، وكأنه يريد أن يفرق بينــه وبين روينــا · ولكن الحكام كانوا قد سبقوا وأخذوه بعيدا · وفتحوا درعه فوجدوا رأس رمح قد نفذ من صدره وأحدث جرحا فى جنبه ·

★★★

الفصل الحادى عشر

## الشيطان محررا !

وعرف الجمهور أن الفائز هو ايفانهو . وطار اسمه من فم الى فم الى أن وصل الى سمع الأمير والواقفين حوله ، فقال :

– أعتقد ، بأني شعرت بحضور صديق أخى ، حتى عندما لم أستطع تخمين من هو داخل الدرع .

وقال دى بارسى :

– والآن على فرونت دى بواف أن يعيد أراضى ايفانهو .

**فقال والدمار :**

ــ أجل ، فمن الواضــح أنه سـيطالب بالقلعـة والأراض التى أعطاها له ريتشارد ، والتى أعطاها الأمير جون بدوره لفرونت دى بواف ٠

**فاجاب الأمير جون :**

ــ ان فرونت دى بواف مســتعد لابتــلاع ثلاث قلاع ولا يتنازل عن واحدة منهم ٠

**فقال والدمار :**

ـ لقــــد آلمنى أن أرى أسى ملكة الجمــال ، وأنا لا يحركنى حداد امرأة على حبيبها ، ولكن ليدى روينا هذه . تحكمت فى حزنهــا ، فلم أكتشفه الا من ضمة يديها ومن عينيهــــا خاليتى الدمع اللتين كانتا مثبتتين عليه ، وهو أمامها فاقد الحس ٠

**فقال الأمير جون :**

ــ من هى ليدى روينا ، التى سمعنا عنــا عنها كثيرا ؟

**فاجاب الراهب ايمر :**

ـ انها ليدى سكسونية واسعة الغنى · زهرة فتنة وجوهرة ثراء ·

**فقال الأمير جون :**

ـ يمكننا أن نرفع عنها أحزانها بأن نزوجها لنورماندى · ما قولك يادى بارسى فى كسب أراضى واسعة بزواجك من سكسونية ؟

**فاجاب دى بارسى :**

ـ اذا كانت الأراضى طيبة، فمن الصعب الا ترضينى مع العروس ·

**فاجاب الأمير جون :**

ـ لن ننسى ذلك ، فسنبدأ العمل على الفور ، بارسال أمر الى ليدى روينا ومن معها لحضور وليمة المساء ·

وكان آخر حدث فى المهرجان ، اختبار المهارة فى

الرماية ٠ وقد اشترك ثمانية رجال فى هذه المســـابقة للرماية من أجل جائزة ، عبــارة عن بوق صــيد مطعم بالفضة ٠ ومعظم هؤلاء الرجال من أتباع البيت الملكى أو كانوا فى خدمة اللوردات النورمانديين ، ولكن كان بينهم أيضا رجل طويل يرتدى ملابس خضراء ، الذى كنا قد لاحظناه من قبل فى الزحام ، عندما كان اسحق يبحث عن مقعده ٠

وقال الامير جون للرجل الطويل :

ـ ما اسمك ؟

فاجاب :

ـ لوكسلى ، ولـكنى لا أرغب فى الرماية ، لأنى لا أدرى اذا كان هؤلاء الرجال اعتادوا على الرماية على نفس العلامة مثلى ٠

فقال الأمير :

ـ اذن ، يا لوكسلى ، سوف ترمى عندما يظهــر هؤلاء الآخرون مهارتهم ، واذا فزت بالجائزة ، سأضيف

لها عشرين قطعة فضية ، ولكن ، اذا خسرت ، فستخسر بذلتك الخضراء وتجلد ٠

ووضعت العلامة ، وهى عبارة عن لوحة مستديرة ، رسمت عليها حلقات ، ومركز اللوحة مطلى باللون الذهبى ولهذا سمى بالذهب ٠ وفى مركز الذهب كانت توجد نقطة بيضاء ٠

وتقدم الرماة واحدا تلو الآخر ٠ ومن الأربعة وعشرين سهما التى أطلقوها ، عشر استقرت فى « الذهب » ، واثنان منهما رماهما هربرت ، حارس الغابة الذى يعمل عند مالفويزون ٠

وقال الأمير جون :

ــ والآن يالوكسلى هل ترمى ضد هربرت ؟

وأحضروا علامة رماية جديدة ٠ وأصاب سهم هربرت الأول الذهب ، ولكن ليس النقطة البيضاء ٠

فقال لوكسلى :

ــ لم تحسب حساب الريح يا هربرت ٠

وتقدم ورمى سهمه بلا مبالاة ، وكأنه لم يتطلع الى العلامة ، ولكن سهمه كان أقرب من سهم هربرت للنقطة ببوصتين ٠

ورمى هربرت مرة أخرى ، وحسب حساب الريح، فأصاب سهمه مركز العلامة ٠

فقال الأمير بابتسامة مهينة :

ـ لا يمكنك أن تضيف شيئا على هذه الرمية ٠

فقال لوكسلى :

ـ ومع ذلك ، سأكسر له سهمه ٠

ورمى سهمه بعناية أكبر من قبل ، فأصاب سهم هربرت ، وشقه نصفين ٠

فقال لوكسلى :

ـ والآن ، سوف ازرع مثل العلامة التى نعتاد عليها فى منطقتنا !



وقال لوكسلي : ساشق له سهمه !

ووضع عصا طولها حوالى ستة أقدام وفى عرض ابهام رجل ، وقال :

ـ ان من يصيب هذه العلامة من بعد مائة ياردة ، سوف اسميه نبالا جديرا بالرمى أمام الملك ريتشارد نفسه .

فقال هربرت :

ـ ان جدى اشترك بقوسه فى معركة هاستنج ، ولم يصب مثل هذه العلامة فى حياته .. ولا أنا أستطيع واذا استطاع هذا الشخص أن يكسر هـــذا العود ، فأسلم له . واذا استطعت أن أصيب هذا العود الأبيض الذى لا أكاد أراه من هذه المسافة لاستطعت أن أصيب ورقة عشب أو شعاع شمس .

فقال الأمير جون :

ـ أيها الكلب الجبان ! هيا يا لوكسلى ، دعنى أرى رميتك ، ولكن اذا أصبت هذه العلامة ، فسأقول انك أول رجل فعل هذا .

**فقال لوكسلى :**

- سأفعل ما فى وسعى ، ولا يستطيع أحد أن يفعل أكثر من ذلك ٠

وغير لوكسلى خيط قوسه ، ثم صوب فى حذر ٠ وانتظر الناس فى صمت وأنفاسهم محبوسة ٠٠ وطار سهمه ، وكسر العود شقين ٠

وهتف الناس عاليا ، حتى الأمير جـون باعجابه بمهارة لوكسلى نسى كراهيته للرجل نفسه ، وقال :

- لقد فزت بجدارة بالعشرين قطعة فضة وبوق الصيد هذا ، وسأجعلها خمسين قطعة اذا خدمت معى كواحد من حراسى الخصوصيين ٠ لأنه لم تمسـك يد قوية بقوس هكذا ، ولم توجه عين صادقة سهما هـكذا أبدا ٠

**فقال لوكسلى :**

- اعذرنى ، أيها الأمير النبيل ، فلقد أقسمت انى لو خدمت ، فستكون خدمتى لصـاحب الجلالة أخيك

الملك ريتشارد · وأعطى هذه القطع العشر لهربرت ، الذى رمى بسهمه الباسل كما فعل جده فى معركة هاستنج · ومن تواضعه رفض المحاولة ، والا لكان أصاب العود مثلى ·

وهز هربرت رأسه ، لكنه قبل الهدية · أما لوكسلى ، فخوفا من أن يفشى مزيدا من الأخبار ، اختلط بالجمهور ، ولم يظهر بعد ذلك ·

وأوشك الامير جون أن يعطى الاشارة بانتهاء المهرجان ، وينسحب الجميع من الميدان ، عندما وضع رجل من حاشيته ورقة صغيرة فى يده ، فسأله :

ـ من أين أتيت بهذه الورقة ؟

فقال الرجل :

ـ من بلاد أجنبية ، ولكنى لا أدرى من أى بلد· لقد أحضرها رجل فرنسى . وقال انه كان على سفر ليل نهار ·

وفتح جون الورقة .. وظهرت مخاوفه ، وازدادت بعد قراءته للكلمات المدونة فى الرسالة :

« خذ حذرك ، فالشيطان محرر ! »

وامتقع وجه الأمير واصفر اصفرار الموت . وأعطى الرسالة لوالدمار ودى بارسى ، وأردف قائلا فى صوت مرتعش :

ــ انه أخى ريتشارد ، لقد حصل على حريته !

★★★

## الفصل الثانى عشر

# مثل الأحمق

كان الوقت متأخرا ، عندما انتهت وليمة الأمير جون · وعاد والدمار الى قلعة أشبى · وفى بهو القلعة التقى بدى بارسى ، الذى غير ملابسه ، التى كان يرتديها فى الوليمة بملابس خضراء اللون ، مع غطاء جلدى للرأس ، وسيف قصير ، وبوق معلق فوق كتفه ·

**فقال والدمار :**

ـ ما هذه الحماقة يا دى بارسى ؟ أهذا وقت

لتمثيل مسرحيات ، وقدر اميرنا جون يتعرض للخطر .. ماذا تقصد بتخفيك فى هـذه الملابس الحمقاء فى وقت خطير كهذا ؟!

فاجاب دى بارسى ببرود :

ــ ان قصدى هو الحصول على زوجة .

ــ انى لا أفهمك !

ــ سوف اهاجم هؤلاء السكسونيين الذين غادروا القلعة الليلة ، وافوز منهم بروينا الجميلة .

فقال والدمار :

ــ هل أنت مخبول ، يـا دى بارسى ؟ بالرغـم من أنهم سكسونيون الا أنهم أغنياء واقوياء .

ــ انا لا اقصد أن ادعهم يعرفون من أنا . الا أبدو فى هذه الملابس مثـل الخارجين على القانون ، أهـل الغابة ؟ ان اللوم سيقع عليهم . وبعد ذلك ، سأظهـر فى شكلى العادى ، والعب دور الفارس الرحيم ، وانقذ الحملة سيئـة الحظ من براثن اعدائهـا الوقحين .

وسآخذها الى قلعة فرونت دى بواف أو الى فرنسا ، ولا أظهرها الا بعد أن تصبح زوجة موريس دى باريس ٠

**فقال والدمار :**

ـ خطة رائعة حكيمة ! من ساعدك فى اختراع ذلك ؟ ومن سيساعدك فى تنفيذها ؟

ـ اذا كان ولابد أن تعرف ، فهو الراهب بريان دى بواجلبرت ٠ فسيمثل هو واتباعه دور الخارجين على القانون ، الذى سوف انتشل منهم ، بعد ما أغير ملابسى ، فتاتى الحسناء ٠

ـ ولكن كيف ستنتشلها من يد بوا جلبرت ؟

**فاجاب دى بارسى :**

ـ انه راهب هيكل ، ولذلك لا يستطيع الزواج انى اتقدم مثل فارس حقيقى للفوز بابتسامات الجمال ٠

**فكرر والدمار قوله :**

ـ مثل فارس حقيقى ، أم مثل الأحمق ؟!

★★★

الفصل الثالث عشر

## الفارس الأسود والناسك

لا يمكن ان يكون القارىء قد نسي أن نتيجة المهرجان قد حسمها ما صنعه الفارس الأسود المجهول ٠

لقد ترك هذا الفارس الميدان فور الفوز بالنصر ٠ وشق طريقه نحو الشمال عبر ممرات في الغابات لا تستخدم كثيرا ٠

وبعد الليلة الثانية من رحلته ، احتاج هو وجواده للراحة ، ومن الضرورى أن يجد مكانا يقضى فيه ليلته ٠

لقـــد غاصت الشمس وراء التـــلال ، التي على يساره ، وهو متوغل في الغابات · وبعـــد ســيره في دروب كثيرة ، بدأ الدرب الذى اتخذه يتســـع قليـــلا ويزداد وعورة · وجعله صليل جرس يفهم أنه بجـــوار منسك للعبادة · وبعد قليل ، وصل الى أرض مكشوفة خضراء كثيرة العشب ، وعلى الجانب المقـــابل صخرة كبيرة ، وفي أسفلها يستند عليها كوخ شظف المظهر ، مبنى من جذوع الشجر وشقوقه محشوة بالطين ، وعلى بعد قليل من يمينه نافورة ماء نقى تتدفق من صخرة ، ويستقبلها حجر مجوف · وبجوار هذه النافورة أطلال أعمدة وبواك تصارع الزمن ، وتدل على وجود كنيســـة صغيرة في يوم مـــا · وتمـــدد المشهـــد متلألئا في نور الشفق أمام عينى المسافر ، فأعطـــاه أمـــلا في المبيت والراحة ·

وترجل عن جواده ، وطرق باب المنسك برمحه · فجاءه صوت خفيض من داخل الكوخ :

ـ امضى أيها الطارق ، ولا تقطع على صلاتى ··· امضى !

فقال الفارس :

ـ ايها الأب الجليل ! ما أنا الا هائم ضل الطريق فى هذه الغابات ، وفى حاجة الى طعام وفراش لهـــذه الليلة .

فاجابه الناسك :

ـ ايها الأخ الطيب . ليس عندى طعـــام حتى لكلب يشاركنى فيه ، وفراشى يزدريه أى جواد أصيل . لهذا اذهب لحال سبيلك ... وامض !

فقال الفارس :

ـ ارجوك ، أيها الأب ، على الأقل افتح لى الباب ودلنى على الطريق !

فاجاب الناسك :

ـ وأنا أتوسل اليك ، أيهـــا الأخ ، الا تزعجنى أكثر من ذلك . لقد افسدت على أربع صلوات يجب أن أرتلها قبل بزوغ القمر . واذا أجبرتنى على استخدام

أسلحة أهل الأرض للدفاع عن نفسى ، فسيكون أسوأ شيء لك ٠

فصرخ الفارس :

ـ الطريق ! الطريق ! اما أن تفتح الباب بسرعة والا سأحطمه ٠

وأخذ يضرب الباب بقدمه بشدة ٠

ـ الصبر ، وسأفتح الباب ٠٠٠ بالرغم من أن هذا لن يسرك ٠

وانشق الباب عن ناسك ينسدل غطاء رأسه على وجهه فيخفيه تماما ، ضخم قوى البنية ، يسد الباب أمام الفارس ، وفى يده نبوت ثقيل ، ويمسك فى يده الأخرى كلبين على أهبة الاندفاع على المسافر ٠ ولكنه عندما رأى ضخامة الفارس المتخفي داخل درعه وهيئته الرهيبة ، غير نبرته الى نبرة مؤدبة ، وسمح له بدخول الكوخ ٠

لا يوجد فى الداخل سوى سرير من أوراق الشجر ومائدة ومقعدين خشنين • وجلس الرجلان يتطلعان الى بعضهما البعض كل من خلال حجابه ، وكل يجـــول بفكره ، أنه لم ير اقوى من الجالس أمامه الا نادرا •

فقال الفارس :

ـ ايها الناسك الجليل ، ياليتنى أعـــرف ثلاثة أشياء من فضيلتكم : أولا ، أين أضع جوادى ؟ ثانيـا ، ماذا يوجد للعشاء ؟ ثالثا ، أين انام الليلة ؟

فقال الناسك :

ـ سأجيبك باصبعى ، لأنى نذرت الا أكلم انسيا عندما تصلح الاشارة •

وبدأ يشير الى أحد اركان الكوخ ، بما معنـاه : « مكان جوادك هناك » • وأشار الى ركن آخر ، بمـــا معناه « سريرك هناك » • وتناول صحنا فيه قبضتان من الفاصوليا الجافة ، بما معناه « عشاؤك هناك » •

وبعدما رتل صلاة طويلة باللغة اللاتينية على هذه

الوليمة ، ضرب المضيف مثالا ليحزو الضيف حزوه ، فتناول أربع حبات من الفاصوليا بتواضع ، ووضعها في فمه الواسع جدا ، المزود بأسنان قوية وبيضاء كأسنان الذئب ، فبدت كزاد هزيل لمطحنة واسعة قوية . وخلع الفارس درعه وخوذته ، كاشفا عن شعر أصفر متجعد كثيف ، وملامح رقيقة ، وعينين فوارتين وضاءتين .. ولما رأى الناسك ضيفه قد كشف عن وجهه ، رفع هو أيضا من على وجهه غطاء رأسه . ولم تنم ملامحه عن شظف حياة ناسك . بل كان وجها حسن الشكل ، وخدين مستديرين حمراوين . وينبىء قويا جسورا ، مع حاجبين عريضين سوداوين ، وجبين مثل هذا الوجه مع هذا البنيان المتين عن لحم جيد وطعام مغذى ، وليس هذه الحبات من الفاصوليا . لاحظ الضيف هذه الخصوصية . وبعد أن ازدرد ، وبصعوبة بالغة ، هذا المقدار الضئيل من الفاصوليا الجافة ، وجد من الضرورى أن يطلب من رجل الدين أن يزوده بأى شراب ، فأجابه على طلبه ، بقدر كبير من ماء النافورة .

ورفع القدر الى شفتيه وارتشف رشفه صغيرة حـذرة لا يمكن أن تتوقع بعد ثنائه عليها ، **وقال :**

– انها من بئر القديس دونستان ٠ بارك الله فى اسمه ٠

**فقال الفارس :**

– يلوح لى ان هذا الطعام البسيط الذى تأكله ، جعلك سمينا قويا بشكل عجيب ٠ انك تبدو كرجـل يفوز فى قتال بالهراوات أو بالسيوف أكثر من رجل يتخلى عن عصره ، ويعتكف فى هذا المكان النائى يرتل الصلاوات ويعيش على حبات الفاصوليا الجافة والمـاء البارد ٠

**فاجاب الناسك :**

– سيدى الفارس ، ان هذه الكلمات تفشى جهلك لا أكثر ٠ فهذا الطعـــام البسيط الذى الزم نفسى به باركه القديسون ٠

ـ ايها الأب التقى ، الذى أجرت السماء هــذه المعجزة على وجهه ، اسمح لرجل آثم أن يســأل عن اسمك .

فاجاب الناسك :

ـ أنا توك ويمكنك أن تناديني بكاهن كوبمــا نهورست ، كما ينادونني هنا ـ انهم يضيفون ، وهذا حقيقى ، كلمة « الورع » ... ولكنى لا أصر عليها لأنى لا استحقها . والآن ، أيها الفارس الشجاع ، هل أحظى بمعرفة اسم ضيفى الفاضل ؟

فاجاب الفارس :

ـ فى الحقيقة ، يا كاهن كوبما نهورست الورع ، الناس ينادونني هنا بالفارس الأسود وكثيرون يا سيدى يضيفون كلمة « الخامل » ، ولكنى لست شغوفا بهــذه التسمية ، ولا أصر عليها ...

ومنع الناسك نفسه من الضحك على اجابة ضيفه بعد جهد كبير ، وقال :

ـ ارى انك يا سيدى الفارس الخامل رجل حكمة وحنكة ، وعلاوة على هذا ، ارى أن حالتى الفقيرة ، لا ترضيك ، لتعودك على حياة رغدة هينة ٠ والآن ، اتذكر ، يا سيدى الأخ الخامل ، أن حارس هذه الغابة الكريم ، عندما ترك لى هذين الكلبين لحمايتى ، ترك ، أيضا ، بعض الطعام ، ولكونه لا يصلح لى ، غاب عن خاطرى ٠٠٠ لأن عقلى تشغله أفكار أخطر ٠

فقال الفارس :

ـ أيها الكاهن الورع ٠ لقد كنت مقتنعا ، منذ كشفت غطاء رأسك ، بأنه يوجد طعام أفضل فى هذا الكوخ ٠ ان حارسك انسان لطيف ، ولم يتحمل أن يرى أسنانك القوية تطحن تلك الحبات الجافة من الفاصوليا ، أو يملأ حلقك بهذه المياه المنفرة ٠ دعنى ارى ما جاد به الحارس بدون ابطاء ٠

ورمى الناسك على الفارس بنظرة شك ، وكأنه غير مطمئن الى أى مدى يمكنه بحكمته أن يثق فى ضيفه ٠ ومع ذلك ، كانت النزاهة واضحة على ملامح الفارس

بشكل كبير . وكانت ابتسامته ، أيضا ، بها شيء مثير للضحك بشكل لا يقاوم ، وتعطى تأكيدا على الاخلاص والوفاء .

وبعد نظرة خرساء أو نظرتين ، ذهب الناسك الى الطرف البعيد من الكوخ ، وفتح بابا مخفيـــا بحرص وبراعة . وأحضر من داخل هذا المخبأ صحنا ضخما من اللحم . ووضعه أمـام ضيفه ، الذى لـم يتـــوان فى تذوقــه .

**وقال الفارس لمضيفه ، بعد ما ابتلع عدة هبرات من طعام الناسك الممتاز :**

ـ متى كانت آخر مرة حضر فيها الحارس الطيب الى هنا ؟

**فاجابه الناسك بعجلة :**

ـ منذ شهرين تقريبا .

**فقال الفارس :**

ـ ألاحظ ان كل شيء فى منسكك خارق للعادة ،

ايها الكاهن الورع ! لانى قد أقسم على أن هذا الغزال السمين الذى آكله ، كان يركض على قدميه منذ أيـام فقط .

وظهر على الناسك بعض الاضطراب عند سماعـه لهذه الكلمات . علاوة على ذلك ، ظهر عليه الحـــزن عندما حملق فى طبق الطعام المتناقص ، الذى كان وجبة ممتازة لضيفه ... وجبة لا تسمح شخصيته المتنسكة أن يشارك فيها .

وتوقف الفارس فجاة وقال :

ـ لقد كنت فى فلسطين ، واذكر عادة هناك ، بان كل مضيف يكرم ضيفه ، يؤكد على سلامة طعامه بتناول جزء منه هو نفسه . وأنا لا يخطر ببالى مجرد شك فى رجل بهذه التقوى أن يتسبب فى أى شىء يؤذى ضيفه ، الا أننى سوف أكون ممتنا لك اذا امتثلت لهذه العادة الشرقية .

فقال الناسك :

ـ سوف اقلع عن التزامي ولو لمرة واحدة ، ولاطمئنك واريح بالك ٠

وتوغلت يداه في الصحن على الفور ٠

وقال الفارس :

ـ أيها الكاهن التقى ، أود أن أقسم بأن الحارس الشريف نفسه ترك لك بعض النبيذ كمصاحب لهذه الوجبة الممتازة ٠

فاجاب الناسك بابتسامة فقط ، ثم اخرج زجاجة كبيرة وكأسين من مخبأ آخر ٠ ولاحظ الفارس ، الذى كان يراقبه ، بعض النبال والأقواس ، وكذلك آلة هارب ، فى نفس المخبأ ٠٠٠ فقال له :

ـ ارى هناك سلاحا ، أود بكل سرور أن أجرب مهارتى عليه معك ٠

وانحنى واخرج آلة الهارب ، وعلق قائلا :

ـ الاحظ فيها وترا ناقصا ٠

فقال الناسك :

ـ آه ، ان هذا يدل على أنك فنان ٠

ثم اضاف وهـو يصب النبيذ ، ويرفع بصره الى أعلى :

ـ هو النبيذ ، كله بسبب النبيذ ٠ لقد قـلت لابى ادال بأنه سيتلف الهـارب اذا لمسه بعد كأسه السابع من النبيذ ، ولكنه لم يستطع أن يقـاوم ٠٠٠ صديقى ، انى أشرب لأدائك الناجح ، وعزفك الشجى ٠

وازداد هزلهم سرعة وهياجا ، وانشد كل منهما العديد من الأغانى ٠ ثم توقف مرحهما على طرقات عالية على باب المنسك ٠

ويمكن تفسير مناسبة هـذه الطرقات ، بالكشف عن مغامرات مجموعة أخرى من شخصياتنا ٠

★★★

## الفصل الرابع عشر

# الجميع أسرى !

عندما رأى سدريك السماكسونى ابنه ، ايفانهو ، يقع مغشيا عليه فى ميدان المباراة فى آشبى ، تحركت عاطفة الابوة فى صدره . وهم بأن يصدر أمره للخدم ليهتموا به . ولكن الأمر لم يصدر أبدا . وشق عليه أمام هذه الجماهير من الناس أن يعترف بابنه الذى كان قد تبرأ منه وطرده من بيته . ومع ذلك ، أمر أزوالد ان يحمل ايفانهو الى آشبى ، عندما تنفض الجماهير .

وتفرقت الجماهير ، ولكن لم يعثروا لايفانهو على أثر . لقد رأى أزوالد بقع الدم التى نزفت منه فى

موضع سقوطه ، أما هو فقد اختفى ، وكان الجنيات قد طرن به . وفجأة وقع بصره على شخص فى ملابس خادم لأحد الفرسان . واستطاع أن يتعرف عليه ، من ملامح وجهه . انه جورث ! فأمسك به ، ولم يستدل منه على شيء ، ثم سأل عنه جميع المارة وألح فى السؤال ، فعلم أن الفارس ايفانهو قد نقلته احدى الخادمات فى مركبة أنيقة ، تخص سيدة من بين المتفرجات ، وسارت به . انها ، فى الحقيقة ، ربيكا اليهودية ، التى تولت أمر العناية بالفارس المصاب ، ولكن لم يعرف أزوالد هذه الحقيقة .

ورفضت ليدى روينا الذهاب الى مادبة الأمير جون ، ولكنها ستنتظر عمها فى دير القديس وتولد . وهكذا لبى سدريك الدعوة وحده . وعند عودته كان سيء المزاج للغاية ، وتصادف أن وقعت عيناه فى الطريق ، لأول مرة ، على الهارب جورث ، فصاح قائلا :

— انت يا أزوالد ! وأنت يا هندبرت ! كيف تتركون هذا اللعين حرا بلا قيد ؟

فقيد الخدم يدى جورث بحبل وجدوه معهم ٠

فقال جورث :

ــ أهكذا ! وأنا الذى أحب من هو من لحمك ودمك أكثر من نفسى التى بين جنبى !

وقال سدريك :

ــ الى الجياد ، هيا !

وجدت القافلة فى السير لتصل الى دير القديس وتولد ، حيث سيتناولون العشاء ، الذى شاركتهم فيه روينا ٠ وقدم لهم الراهب ، وكان سكسونيا ، عشاء فاخرا ، ولم يغادروا الدير الا فى صباح اليوم التالى ٠

وبعد قطعهم مسافة لا بأس بها ، وصلوا الى نهاية منطقة الغـابات ، التى تعتبر خطرا فى ذلك الوقت ، بسبب أعداد الخارجين على القانون الذين يحتلونها ٠ ومع ذلك ؟ وبالرغم من الساعة المتأخرة من الليل ، فكر سدريك أنه في أمان مع اثلستين وروينا ، حيث

يرافقهما عشرة من الخدم ، بالاضافة لوامبا وجورث المكبل بالحبال ·

وبينما كانت القافلة تجد فى المسير ، طرق مسامعهم صيحات متكررة تطلب المساعدة · فتوجهوا الى مصدر هذه الصيحات ، فشاهدوا مركبة واقفة ، وبجانبها فتاة ترتدى ثيابا يتجلى فيها الزى اليهودى · ورأوا الى جانب الفتاة رجلا عجوزا يفرك يديه لهفة وحسرة · وكانت قلنسوته الصفراء التى على رأسه ، تدل على انه يهودى ، أيضا ·

كان الرجل هو صديقنا القديم اسحق يورك ، الذى استطاع بعد فترة أن يشرح ظروفه ، بأنه قد استأجر فى آشبى ستة رجال ليحرسوه ، ومركبة وجياد لينقلوا فيها صديقا جريحا · ولقد وصلوا الى هنا فى أمان ، غير انهم لم يكادوا يصلون هذه المنطقة الا وأخبرهم قاطع اخشاب بوجود عصابة قوية من الخارجين على القانون يتربصون فى الغابات أمامهم · فهرب الرجال الستة واخذوا معهم الجياد التى كانت

تجر العربة ، وتركوا اليهودى وابنته والجريح لينقض عليهم اللصوص ، وقد يقتالونهم .

واضاف اسحق قائلا :

ــ هل تتفضلون بتأمين سفرنا معكم ؟

كان سدريك على وشك أن يرفض . عندما ركعت ربيكا أمام ليدى روينا ، وقبلت طرف ردائهـا ، وتوسلت اليها باسم الله أن يشفقوا عليهم ويسمحوا لهم بأن يكونوا فى معيتهم وتحت حمايتهم . وقالت ربيكا :

ــ اننى أبتهل اليكم ، لا من أجلى ولا من أجل هذا الشيخ المسكين ، بل من أجل عزيز على كثير من الناس، وعزيز حتى عليكم ، فأرجوكم أن تحملوا هذا الجريح المريض ، وتشملوه بعطفكم ورعايتكم . واذا أصيب بمكروه فستقضين العمر كله نادمة حزينة .

فأثرت ربيكا بنبرتها النبيلة الوقورة ، التى أدت

بها توسلاتها على الفتاة السكسونية الجميلة . فقالت لسدريك .

ــ دعهم يأتوا معنا ، فالرجل كبير فى السن ولا حول له ولا قوة ، والفتاة صغيرة وجميلة ، وصديقهما مريض ، ويوجد خطر على حياته .

وافق سدريك على أخذهم ، فقطروا وراءهم بعض الخيول الى المركبة وساروا . ولذلك أنزلوا جورث السجين من على جواده . وأثناء ذلك ، حرض وامبا أن يفك الحبل الذى يقيد ذراعيه قليلا ، وبعدها استطاع أن يفلت ، وهرب منهم جميعا .

وأعادوا ترتيب الأمتعة وسار الركب ثانيـة . وكان الدرب ضيقا ، لا يتسع لأكثر من اثنين . وبدأ ينحدر الى وادى يخترقه غدير ماء متكسر الضفاف التى تنمو عليها شجيرات وفيرة ، ورأى سدريك ، وكذلك اثلستين اللذان كانا فى مقدمة الركب الخطر المحدق بهم فى هذا المكان الضيق لو هوجموا ، فأسرعوا للخروج من هذا المأزق . فما كادوا يعبرون الغدير حتى أحاط

بهم المهاجمون من المقدمة ومن المؤخرة . ولم يستطيعوا أن يقوموا بأى مقاومة .

واصبح الجميع اسرى ما عدا وامبا ، الذى خطف سيفا من أحدهم وحاول أن يطلق سراح سيده . ولكنهم تكتلوا عليه ، فلاذ بالفرار متواريا وراء الشجيرات .

وما أن ابتعد ، المهرج الشجاع ، ووجد نفسه فى بر الأمان ، الا وبدأ يفكر فى العودة ويشارك سيده ، الذى يحبه فى الأسر . وقال :

ـ سمعت الناس يتحدثون عن بركات الحرية . وهأنذا أود من أى رجل حكيم أن يعلمنى ماذا أفعل بها بعد أن حصلت عليها .

وأثناء اختفائه ناداه صوت قريب منه :

ـ وامبا !

فأجاب :

ـ جورث !

وظهر راعى الخنازير امامه فى الحال ، وقال :

ـ ما الخبر يا وامبا ؟

ـ سيدى وسيدتى والجميع أسرى ... أسرى لرجال يرتدون الملابس الخضراء .

فقال جورث :

ـ اسمع يا وامبا ، أرى فى يدك سيفا ، وأعرف أن لك قلبا شجاعا . ونحن اثنان فقط ، ولكن هجوما مباغتا من رجلين لهما عزيمة قوية لابد أن تفعل الكثير . هيا ، اتبعنى .

وعندما اوشك المهرج على الموافقه ، برز لهما رجل ثالث . ومن ملابسه اعتقد وامبا أنه أحد الخارجين على القانون ، الذين هاجموا سيده . ثم تعرف عليـه ، بالرغم من ضوء الشفق الخافت ، فما كان الا لوكسلى الذى فاز بجائزة الرماية فى المهرجان : فقال :

ـ ما معنى كل هذا ؟ ومن يجرؤ أن يأسر أحدا أو يسرق فى هذه الغابة ؟

فقال وامبا :

ـ يمكنك أن ترى ملابسهم · أليست هى ملابس عشيرتك ، فهم يلبسون مثلك تماما ·

ـ سأعرف فى الحال · امكثا فى مكانكما حتى أعود ·

وعاد لوكسلى بعد قليل ، وقال :

ـ لقد دخلت بين هؤلاء الرجال ، وعرفت من أين هم ، وإلى أين هم ذاهبون · ومن الجنون لو هاجمناهم نحن الثلاثة فقط ، ولكنى آمل أن أجمع قوة تساعدنا على انقاذ الأسرى فسدريك الساكسونى لن تعوزه الأيادى الانجليزية لتساعده فى محنته ·

وسار عبر الغابة بخطى واسعة يتبعه المهرج وراعى الخنازير ·

★★★

الفصل الخامس عشر

# جماعة الخارجين على القانون

بعد مسيرة ثلاث ساعات ، وصـل لوكسلي مع رفيقيه الى منطقة خالية من الأشجار فى الغابة الكثيفة ، وكانت في وسطها شجرة سنديان ضخمة ، يرقد تحتها حوالى خمسة رجال فى ملابس خضراء ، وكان هناك رجل آخر يقوم بالحراسة ٠

فلما سمع وقع أقدام ، أعطى انذاره فى الحال ٠ فهب الراقـدون واقفين وأشرعـوا أقواسـهم تجـاه القـادمين ، غير انهم ما كادوا يتبينون لوكسـلى حتى عرفوا فيه رعيمهم فقابلوه بالترحاب والاجلال ٠

**فكان اول سؤال له :**

ـ **اين ميلر ؟**

ـ **فى الطريق الى روترهام مع ستة رجال مع أمل فى جائزة .**

**فسال لوكسلى :**

ـ وأين الان اديل ؟

ـ اتجه الى شـــارع والدنج للبحث عن **راهب** جورنفولكس .

**فأجاب الزعيم :**

ـ انها فكرة طيبة ، وأين الراهب توك ؟

ـ فى كوخه الذى فى كوبمانهرست .

**فقال لوكسلى :**

ـ **سأذهب الى هناك . أما أنتم فتفرقوا ، واجمعوا** أكبر عدد ممكن من الرفاق ، وعودوا . **قبيل انبلاج**

الفجر ، وليذهب اثنان منكم بسرعة الى توركويلسنون ، حيث قلعة فرونت دى بواف ٠ ان بعض اللوردات الشبان تنكروا بزينا ، وأسروا جماعة وتوجهوا الى هناك ٠ فشرفنا فى خطر ، ويجب أن نعاقبهم ٠

وتابع لوكسلى مع رفيقيه طريقهم الى منسك كوبمانهرست ٠

فلما اقتربوا همس وامبا لجورث قائلا :

ـ هل تسمع الصلوات التى يرتّلونها فى المنسك؟

وكان الناسك وضيفه ، فى الحقيقة ، يغنون اغانى السكارى ٠ فطرق لوكسلى الباب طرقا عاليا ومتكررا ، فتنبه الناسك وضيفه أخيرا ٠ فأسرع الفارس وسلح نفسه ، بينما أسرع الناسك فى ازالة آثار المادبة ٠

وجاء صوت من الخارج :

ـ أيها القسيس المجنون ! افتح أنا لوكسلى !

فقال الناسك لرفيقه :

ـ لا تخف ، كله تمام ·

وفتح الباب · فقال لوكسلى :

ـ لماذا ، أيها الناسك تسمح لفارس لا تعرفه بالدخول ؟ هل نسيت الوعود التى بيننا ؟ أترك تراتيلك هـذه وسلح نفسك ، اننـا فى حاجة لكل رجل من رجالنا حتى المرحين والسكارى ·

وأسرع الناسك بخلع مسوحه ، وارتدى ثـوب الغابة الأخضر · وأثناء ذلك أخذ لوكسلى الفارس على جنب ، وقال له :

ـ انك أنت الذى حسمت النصر لصالح الانجليز فى اليوم الثانى من المباراة · لا تنكر هذا ، يا سيدى الفارس ·

فقال الفارس :

ـ وماذا يحدث اذا صدق حدسك ؟

ـ عندئـذ أناشـدك أن تكون صـــديقا لنصرة الضعيف · لقد تظاهر رجال أشرار بأناس أفضـــل منهـــم ، وأسروا النبيـل الانجليزى ، ســــدريك الساكسونى ، وليدى روينـا ، وصـديقه اثلستين ، واخذوهم الى قلعة فى هذه الغابة ، تدعى توركويلستون· انى أسألك كفارس مقدام وكرجل انجليزى طيب ، هل ستساعدنا فى تحريرهم ؟

فاجاب الفارس :

ـ انى مرتبـط بقسـمى للفروسية أن أهب الى نصرة الضعيف ، ولكنى أود أن أعرف من تكون ، يا من تطلب مساعدتى ؟

فاجاب الزعيم :

ـ أنا رجل بلا اسم ، ولكنى أحب بلادى ، وأحب كل من يحب بـلادى · واكتفى الآن بهذا الجواب ، خصوصا وانت تريد أن تظل مجهولا أيضـا ·

فقال الفارس :

ـ لن ألقى عليك بمزيد من الأسئلة ، وسـوف

أساعدك على اطلاق سراح هؤلاء الأسرى · وعندما يتم ذلك ، سوف نعرف بعضنا أفضل ·

وكان الناسك قد انتهى تماما من ارتداء ملابسه فأصبح عملاقا من رجال الغابة ، مع سيفه ، وترسه ، وقوسه ، وسهامه ·

**وقال لوكسلى :**

ـ هيا أيها الناسك ، هيا بنا جميعا · يجب أن نجمع كل قواتنا ، وسيكون لدينا ما يكفى من الرجال ، اذا سيطرنا على قلعة فرونت دى بواف ·

**فقال الفارس الأسود :**

ـ ماذا اسمع ! هل هو فرنت دى بواف الذى هاجم أتباع الملك فى طريق الملك نفسه ؟ هل تحول الى لص ؟

**فقال الناسك :**

ـ لص ؟! ·· ان اللصوص الذين أعرفهم أفضل منه بكثير !

★★★

الفصل السادس عشر

## عند قلعة توركويلستون

أسرع الرجـال المسلحون ، الذين قبضـــوا على سدريك ورفاقه • ولكن حل الظـــلام وظهرت دروب الغابة المتشعبة ، التى ليس لهم بها دراية • وضلوا طريقهم عدة مرات ، وانتهى نهار الصيف الطويل ، قبل تأكدهم من الدرب الصحيح •

وقال بوا جلبرت لدى بارسى :

ـ حان الوقت الذى تغادرنا فيه ، فهذا دورك لتلعب فيه الفارس المنقذ •

**فقال دى بارسى :**

– لقد غيرت رأيى · لن أتركك حتى تكون الجائزة آمنة فى قلعة فرونت دى بواف · عندئذ سأظهر أمام ليدى روينا بشخصى ، وأنا واثق انها سترى كل أفعالى التى أذنبت فيها ، ما هى الا من منطلق حبى الجارف ·

**فأجاب بوا جلبرت ، فارس الهيكل :**

– وماذا غير خطتك ؟ أرجو الا تكون شكوكك هى السبب !!

**فأجاب دى بارسى :**

– ان أفكارى لنفسى ، فالشيطان يقهقه ضاحكا عندما يرى لصا يسرق من زميله ·

**فقال فارس الهيكل :**

– فلتسمع الحقيقة ، اذن · أنا لا أعبأ بفتاتك الجميلة ذات العيون الزرقاء · أما بالنسبة لنقود

اسحق . فساقتسمها مع فرونت دى بواف ، الذى لن يعيرنى الاستفادة بقلعته بدون مقابل . كما أننى حددت جائزتى الخاصة فى اليهودية الفاتنة .

واستمروا فى سيرهم ، حتى رأوا توركويلستون ، قلعة فرونت دى بواف .

فنفخ دى بارسى فى بوقه ثلاث مرات . وأسرع الرجال الذين كانوا عند الجدار بانزال الجسر المتحرك ، وسمح لهم بالدخول . واقتادوا الأسرى الى حجرة قدموا لهم فيها وجبة سريعة ، لم يأكل منها أحد سوى اثلستين . وأخبرهم الحراس بأن روينا ستحبس فى حجرة بعيدة عنهم وكانت المقاومة عبثا لا يجدى . واجبروهم للدخول فى حجرة أوسع بها أعمدة عريضة . أما ليدى روينا فقادوها الى حجرة نائية .

أما اليهودى العجوز فلقد سحبوه الى اتجاه مختلف عن بقية المسجونين ، بالرغم من أنه عرض مبالغ كبيرة من المال حتى تظل زبيكا معه . ولكنهم قادوا زبيكا الى مكان آخر .

الفصل السابع عشر

## شجاعة ربيكا

سيقت ربيكا الى حجرة صغيرة فى برج نائى من القلعة · فوجدت نفسها مع امرأة عجوز تتمتم بلهجة سكسونية وهى تعمل فى مغزلها ·

فقال احد الرجال :

ـ يجب أن تخرجى أيتهـــا العجوز · لقد أمر ســيدنا بذلك · فلتتركى هـذه الحجرة لضيفة أكثر جمالا ·

فقالت المرأة العجوز :

ـ أه ، فى يوم ما كانت كلمة منى تلقى أفضل حارس فيكم خارج القلعة كلهـا . أما الآن فأنا التى تخرج بأمر من أى خادم مثلك !

**فقال الرجل :**

ـ أولريكا ، أيتها المرأة الطيبة ، لا تجادلى وهيا للخارج ، لقد عشت يومك ، ولكن شمسك قد غربت من زمن بعيد ·

**فقالت المرأة العجوز :**

ـ فليتبعك الحظ السيء ! ولتدفن مثل الكلب ! وليمزق الشيطان أوصالك اذا تركت هذه الغرفة قبل أن أنتهى من غزلى ·

**فقال الرجل :**

ـ فلتدفعى ثمن هذا لسيدنا ·

وانسحب تاركا ربيكا فى صحبة المرأة العجوز ·

**فقالت المرأة العجوز وهى تنظر لربيكا :**

ـ انه عمل شيطاني يدبرونه الآن ؟ ولكن هذا سهل معرفته ··· العيون ذكية ، والشعر أسود ، والبشرة مثل صفحة الورق ، من السهل معرفة سبب ارسالها الى هذا البرج المنعزل · أجنبية أيضا ! من أى بلد أنت ؟ ·· لماذا لا تجيبين ؟ مع انك تبكين ! فلماذا لا تتكلمين ؟

**فقالت ربيكا :**

ـ أرجـوك ارحمينى ، وأخبرينى ماذا هـم بى فاعلون ؟

**فأجابت المرأة العجوز :**

ـ انظرى الى · كنت فى يوم ما صغيرة ، وأجمل منك مرات ، عندما أسر فرونت دى بواف الأب هذه القلعة ودافع عنهـا أبى وأخوتى السبعة من غرفة الى غرفـة ··· ماتوا ، كلهم ··· وبقيت أنا ســخرية المنتصر ·

**فقالت ربيكا :**

ـ الا يمكن الفرار ؟

فقالت المرأة ، وهى تهز شعرها الأشيب :

ـ من هنـــا ؟ لا يمـكن الفرار الا عن طريـق الموت ... لقد انتهيت من غزلى ، ومهمتك لم تبـدأ بعـد .

وغادرت الحجرة بضحكة ساخرة وأوصدت الباب خلفها .

كانت ربيكا تتمتع بصفاء ذهن طبيعى ، وشخصية قوية لماحة . وتطلب الوضع الحالى شحذ كل قواها . فقامت أول الأمر وفتشت الحجرة ، فلم تعثر فيها على أى باب أو ممر سرى . وكانت النافذة الوحيدة فى أعلى البرج . وترتفع مئات الأقدام من الساحة السفلية .

وسمعت وقع أقدام على السـلم . وفتح الباب ببطء ، ودخـل رجل طويل فى ملابس الخارجين على القانون . وكان غطاء رأسه مسحوبا على وجهه لاخفائه .

وخلعت ربيكا بسرعة احدى مجوهراتها الثمينة التى ترتديها حول عنقها ، وقدمتها للرجل ، وقالت :

ـ خذ هذه ، أيها الرجل الطيب ، وكن رحيما بى وبأبى المسن ·

**فاجاب الخارج على القانون باللغة الفرنسية :**

ـــ أيتها الزهرة الجميلة ، ان هذه اللآلىء جميلة ، لكنها لا تقارن ببياض أسنانك ، وهذه الجواهر براقة ، ولكنها لا تقارن ببريق عينيك ·

**فقالت ربيكا بنفس اللغة :**

ـ انك لست خارجا على القانون · انك نورماندى، ربما نبيل من النبلاء · أوه ، كن نبيلا أيضـــا فى أفعالك ·

**فقال بوا جلبرت كاشفا عن وجهه :**

ـ ان حدسك فى محله · اننى لست بخارج على القانون · ولكنى رجل يريد أن يطوق عنقك وذراعيك باللآلىء والجواهر لا أن يأخذها منك · انـك أسـيرة قوسى ورمحى ، وتابعة لارادتى · استسلمى لقدرك ، وسترفلين بالجلال وتنعمين بالجمال الذى تغبطك علية أية أميرة نورماندية ·

**فقالت ربيكا :**

ـ استسلم لقدرى ! أيها الفارس الجبان ! انى أحتقرك ! ان وعد اله ابراهيم قـد فتـح باب النجاة لابنته ٠٠٠ حتى من هذا العار !

واستطاعت أثنـاء حديثهـا أن تفتح النافذة ، وانطلقت منها لتقف على حافة البرج ، حيث لا يفصل بينها وبين السقوط شئ ، **وقالت :**

ـ خطوة واحدة وسأقفز من هـذا الارتفـاع ٠ وسيصبح جسدى حطاما بشريا فوق أحجار القلعة ، ولا أستسلم لك أبدا ٠

توقف الفارس الذى لم تخر عزيمته أمام الشفقة أبدا ، وتراجع لحظة فى اعجاب بشجاعتها ٠

عندئذ جاء صوت البوق مدويا من مام البوابـة وتكرر نفس الصوت ثلاث مرات بقوة شديدة ، وكأنه نذير شـؤم ينفخ أمام قلعـة سحرية فينشر قاعاتهـا



وانطلقت لتقف على حافة البرج

وأبراجها وبواباتها أشلاء تتطاير فى الجو مثل نتف سحب الصباح ٠

فقال بوا جلبرت :

– ان هـــذا البـوق يعلن عن شىء قـد يتطلب حضورى ٠ وداعا ٠ وسأعود سريعا لك يا خليلتى ٠

★★★

الفصل الثامن عشر

## القس الغريب

عندما دخل بوا جلبرت بهو القلعة وجد دى بارسى ينتظره ، ولحق بهما فرونت دى بوا ، الذى قال لهما :

ــ دعونا نفهم سبب هذه الضجة اللعينة . ها هى الرسالة ، وهى مكتوبة باللغة السكسونية ، ان لم أكن مخطئا . وسلم الرسالة لدى بارسى بعد فشله فى قراءتها .

فقال دى بارسى الذى لم يستطع قراءتها أيضا :

ــ لعلها تعويذة سحرية على قدر علمى .

فأخذها بوا جلبرت **وقرأ ما يلى :**

**من :**

نحن وامبـا المهرج ، خادم النبيل سـدريك ، وجورث راعى خنازيره ، وحليفانا الفارس الأسود ، وروبرت لوكسلى ٠

**الى :**

ريجنالد فرونت دى بواف وحلفائه ٠

**حيث انه :**

قد قمتم بـلا سبب مشروع بالقبض على مولانا سـدريك والليدى روينـا واثلستين كونجزبرج ، وخدمهم ، ويهودى اسمه اسحق يورك وابنته ٠

**لذلـك :**

نطلب اخلاء سبيل جميع الأشـخاص المذكورين وتسليمهم الينا فى خلال ساعة واحدة ٠

**والا :**

أشهرناهـــا عليكم حربا بالهجوم على قلعتكم . واستخدام جميع قواتنا لتدميركم .

**نحن الموقعون أدناه** تحت السنديانة العظيمــة ، وقام بتحرير ذلك رجل الدين فى منسك كوبمانهيرست فى مولد القديس وتولد .

**وامبا ـ الفارس الأسود**

**جورث ـ لوكسـلى**

أنصت الفرســان لهذه الرســالة الغريبــة ، ثم تبادلوا النظرات فى صمت . وكسر دى بارسى حاجز هذا الصمت بالضحك ، الذى شاركه فيه بوا جلبرت . ولكن بدا على فرونت دى بواف الضجر بضـــحكهما فى هذا الوقت السىء ، وقال :

ـ كفـا عن الضـــحك ، فأولى لنا أن نتدارس الموضوع .

ثم سأل أحد أتباعه :

ـ أيهـــا الحارس ، هل رأيت عدد القوات التى يعتمدون عليها ؟

فقال الحارس :

ـ مئتان على الأقل ٠٠٠ وهم متجمعون فى الغابة٠

فقال فرونت دى بوا :

ـ يا له من خبر طيب ! أهذا جزاء سماحى لك باستخدام القلعة ؟

فقال بوا جلبرت :

ـ يا للعار يا سيدى الفارس ! ٠٠ لنجمع رجالنـا ولنخرج اليهم ٠ ان فارسا منا ٠٠٠ بل رجل واحـد شاهر السلاح كفيل بعشرين من هؤلاء الأوباش ٠

فاجاب فرونت دى بواف :

ـ هذا صحيح ، اذا كانوا من أهل المدن الجبناء ، ولكنهم انجليز من أهل الريف ، وهؤلاء لا نقدر عليهم الا بمساعدة دروعنا وجيادنا ، وهذه لن تساعدنا كثيرا

بين أشجار الغابة وأدغالها • هل قلت نخرج اليهم ؟ اننا لا نملك ما يكفى من الرجال للدفاع عن القلعة • وأفضل رجالى فى يورك ، وكذلك كل فرقتك يا دى بارسى • ان كل ما لدينا هنا لا يزيدون على أربعين أو خمسين رجلا •

**فقال بوا جلبرت :**

ـ ارسل لجيرانك ، ليجمعوا لك رجالهم لانقاذ ثلاثة فرسان هجم عليهم مهرج وراعى خنازير فى القلعة الحصينة لريجنالد فرونت دى بواف •

**فقال فرونت دى بواف :**

ـ ومن يحمل هذه الرسالة ؟ انهم سيراقبون كل الممرات • بوا جلبرت ، أكتب ما أمليه عليك :

**وكتب بوا جلبرت ما يلى :**

ريجنالد فرونت دى بوا والنبلاء الفرسان حلفاؤه لا يقبلون التحدى من العبيد • واذا كان للرجل الذى يدعو نفسه باسم الفارس الاسود حق التكريم الواجب

للفروسية ، فيجب أن يعلم بأنه يرمى بنفسه فى الهوان بانضمامه لهؤلاء الرعاع ٠

أمـا بالنسبة للأسرى ، فنحن قررنا قتلهم قبل ظهر اليوم ، ولذلك نطلب منكم أن ترسلوا اليهم قساً لكى يعترفوا له بأخطائهم ويبث السـلام بينهم وبين ربهم ٠

وطويت الرســالة وسلمت للرجل الذى جاء بالانذار ٠ وعاد الرسول الى السنديانة العظيمة ، حيث كان فى انتظاره وامبا ، وجورث ، والفارس الأسود ، ولوكسلى ٠

وأخذ الفارس الأسود الرسـالة وشرح معناهـا لحلفـائه ، حيث لا يوجد غـيره يستطيع قراءة اللغة الفرنسية ٠

فصرخ وامبا قائلا :

– يقتلون النبيل سدريك ٠ يا الهى ، لابد أنك مخطىء أيها الفارس !

**فأجابه الفارس :**

ـ **لست أنا ، أيها الصديق العزيز ، لقد شرحت الكلمات كما وردت هنا ·**

**فقال جورث :**

ـ اذن ، وحق القديس توماس ، سنمزق **القلعة بأيدينا ·**

**فأجابه وامبا :**

ـ ليس لدينا شيء آخر لنمزقها به ·

**فقال لوكسلي :**

ـ **انهـــا مجرد خدعة لكسب الـوقت ، انهم** لا يجرؤون على اقتراف هذا العمل ·

**فقال الفارس الأسود :**

ـ أود أن يستطيع أحد منا الحصـــول على اذن بالدخـول للقلعة ويكتشف مدى قوتهم · وما دامـوا

يطلبون قسا ، وربما هذا الناسك الورع يستطيع القيام بهذه المهمة ، ويحصل لنا على المعلومات التى نريدها ٠

فاجاب الناسك :

ـ أحب أن أقول لك يا سيدى الفارس ، اننى عندما أخلع مسوح التنسك ، فتخلع عنى الرهبنة ، والقداسة ، وحتى اللغة اللاتينية ٠

فقال الفارس الأسود :

ـ أخشى أنه لا يوجد بيننا من يستطيع القيـام بدور القس ٠

فتطلع الجميع بعضهم الى بعض فى صمت ، ثم قال وامبا بعد قليل :

ـ لابد أن يظل المهرج مهرجا ، ويضـع رقبته داخل مغامرة ، لا يقدم عليها العقلاء ٠

فقال الفارس :

ـ اذن ، فلترتد المسوح ، أيها الرجل الطيب ٠

واطلب من سيدك تقريرا عن كل شيء فى القلعة . ويبعثه لنا .

فقال لوكسلى :

– ونحن سنراقب المكان عن كثب ، ولن نسمح حتى لذبابة أن تنقل أى خبر من هناك .

وانتهى وامبا من ارتداء ملابس رجال الدين ، ومشى بخطوات قس وقور ، متوجها الى مهمته ، وقال لرفاقه بلغة لاتينية راقية :

– السلام عليكم !

★★★

## الفصل التاسع عشر

## هروب سدريك

لم تكف شـجاعة وامبا للشد من أزره ، عندما وجد نفسه ماثلا أمام رجل يثير الروع فى القلوب مثل ريجنالد فرونت دى بواف • غير أن فرونت دى بواف كان معتادا أن يرى الناس بفئاتهم المختلفة يرتعدون فى حضرته ، لذا ، فلم يثر اضـطراب القس المزعـوم شكوكه •

**وقال له :**

ـ من أنت أيها القس ، ومن أين أنت قادم ؟

**فقال المهرج باللغة اللاتينية :**

ـ السلام عليكم ··· انى قس جـوال فقير · أسافر عبر هذه الأماكن الموحشة ، فوقعت فى براثن اللصوص · وبعثنى هؤلاء اللصوص لهذه القلعة لأقوم بالمساعدة الروحية اللازمة لأناس على وشك الوفاة ·

فاجابه فرونت دى بواف :

ـ تمام ·· وهل يمكنك أن تخبرنى ، أيها الأب المقدس ، كم عدد هؤلاء اللصوص ؟

فاجاب المهرج :

ـ أيهـا السيد الشـجاع ، انهم كثيرون ··· لا حصر لهم ·

فقال فرونت دى بواف :

ـ أخبرنى فى كلمات واضحة عن أعدادهم ، والا فلن تحميك مسوحك هذه !

فاجاب القس المزعوم :

ـ ويلاه !! لقد كنت أرتعد من الخوف ، ولكنى أعتقد بأنهم أكثر من خمسمائة رجل ·

فصرخ بوا جلبرت ، الذى دخل البهو فى هذه اللحظة ٠

ـ ماذا ! هل هم بهذا العدد ؟

ثم انتحى ناحية فرونت دى بواف وقال له :

ـ أتعرف هذا القس ؟

فقال فرونت دى بواف :

ـ انه غريب عن الديار ٠ وهذه أول مرة أراه فيها ٠

فقال له بوا جلبرت :

ـ اذن ، لا تثق فيه وتحمله رسالة شفهية ٠ بل حمله أمرا مكتوبا الى جماعة دى بارسى ، وتخبرهم بالحضور فورا لنجدة مولاهم ٠ أما الآن ، وحتى لا يشك القس فى شىء ، اسمح له أن يقوم بحرية فى انجاز مهمة تهيئة هذا الخنزير السكسونى للموت ٠

فقال فرونت دى بواف :

ـ وهو كذلك ٠

وأصدر أوامره للخدم ان يرشدوا وامبا للغرفة التى بها سدريك واثلستين ٠

**وقال المهرج باللغة اللاتينية وهو يدخل الغرفة :**

ـ السلام عليكم ٠

**فقال سدريك للقس المزعوم :**

ـ تفضل ٠ ما الغرض من مجيئك الى هنا ؟

**فاجاب المهرج :**

ـ لأدعوك بتهيئة نفسك للموت ٠

**فقال سدريك قافزا :**

ـ هـذا مستحيل ! غلاظ القلوب ، أشرار ٠٠ نعم ، ولكنهم لا يجرؤون على اقتراف هذا العمل !! هل سمعت هذا ، يا اثلستين ؟ دعنا نرفع معنوياتنـا لنموت مثل الرجال ٠

فقال اللستين :

- انى مستعد . فسأمشى للموت بهدوء كما أمشى متوجها للعشاء .

فقال المهرج فى صوته الطبيعى :

- انتظر لحظة ، أيها العم الطيب . من الأفضل أن تتطلع أمامك قبل أن تقفز فى الظلام .

فقال سدريك :

- وحق ايمانى ! انى أعرف هذا الصوت .

- انه عبدك ومهرجك الوفى . خذ هذه العباءة وأخرج بسرعة من هذه القلعة . وأترك لى ثوبك لأبدأ الرحلة الطويلة مكانك .

فقال سدريك :

- أتركك مكانى ! لماذا ، سيشنقونك يا مهرجى المسكين !

- فليفعلوا ما يشاءون

**فقال له سدريك :**

ـ حسن يا وامبا ، ساسلم بطلبك ، اذا بادلت ثوبك بثوب لورد اثلستين بدلا منى

**فاجاب وامبا :**

ـ لا ان المعروف لا يلقى من يد ليد ، مثل الكرة . لن أشنق الا من أجل مولاى وسيدى .

**فقال اثلستين :**

ـ هيا أيها النبيل . ان وجودك بين أصدقائنا سيبث فيهم الشجاعة والاقدام على مساعدتنا .

**فقال سدريك متطلعا الى وامبا :**

ـ وهل يوجد أى أمل فى المساعدة ؟

**فاجاب وامبا :**

ـ أمل ؟ طبعا ! فهناك خمسمائة رجل ينتظرون بالخارج . وكنت ، هذا الصباح ، واحدا من زعمائهم .

وليست خوذة المحارب بدلا من طرطور المهرج ٠٠ حسن ، سنرى اى خير سينجزون ، بتفريطهم فى رجل حكيم مكان مهرج ٠٠٠ أخشى ، مخلصـــا ، انهم سيفقدون بالشجاعة ما يكسبونه بالحكمة ٠٠٠ وهكذا ، استودعك الله ، أيها السيد الكريم ، وكن رحيما بالمسكين جورث وبكلبه فانجز ، ودع طرطور المهرج وامبا يتدلى ، مزينا بهوروثروود حـاملا ذكرى تقـديم حيـاتى من أجـل سيدى ، كمخلص ٠٠٠ مهرج ، أو مهرج مخلص ٠

وتحجرت الدموع فى عينى سدريك وهو يقول :

ـ ستدوم ذكراك ما دامت الدنيا يشرفها الاخلاص والحب ٠ ولكن ثقتى كبيرة فى العثور على سبيل لانقاذ روينا ٠٠٠ وانت يا اثلستين ٠٠٠ وانت طبعا ، يا وامبا المسكين ٠

ثم تبادلا الثياب ، وبعدها ســاور سدريك شك مفاجىء ، فقال :

ـ أنا لا أعرف أى لغـة غـير لغتى ٠٠٠ حتى

اللاتينية لا أعرف فيها كلمة واحدة . كيف أتظاهر بانى قس مثقف ؟

**فاجابه وامبا :**

ـ تعويذة ساحرة تكمن فى كلمتين باللغة اللاتينية : « السلام عليكم » تجعلك تمر فى الحديد . فاذا رحت أو غدوت أو أكلت أو نمت ، **فالسلام عليكم** هى مفتاح النجاح فيها كلها . قلها هكذا ... فى نبرة خفيضة ، وقورة : السلام عـ .. ليـ .. كم ... انها لا تـ .. ـقا .. وم . اعتقد أننى سوف أستخدمها ، مع الرجل المكلف بشنقى غدا .

**فقال سدريك :**

ـ اذا كان الأمر هكـذا ، فأنا قس من الآن . السلام عليكم . آمل أن أتذكرهـا . أيهـا النبيل اثلستين ، وداعا ، وداعا يا خادمى المسكين . سأنقذكما والا سأعود لأموت معكما . وداعا .

ـ وداعا ، يا عمى ، وتذكر : **السلام عليكم** .

سار سدريك قليلا ، قبل أن يحاول تجربة قوة التعويذة السحرية ، التى قال عنها المهرج أنها لا تقاوم. وفى سرداب مقوس ومظلم أوقفته امرأة ، فقال القس المتظاهر :

ـ السلام عليكم !

وحاول الافلات بسرعة ، عندما أجابة صوت ناعم باللغة اللاتينية :

ـ والسلام عليكم ٠ انى أتوسل اليك برحمتك ، أيها الأب المبجل ٠٠٠٠

فأجاب سدريك بلغته السكسونية ، وفى نفس الوقت تمتم فى نفسه :

ـ اللعنة على المهرج ، وعلى تعويذته السحرية ٠ لقد فقدت رمحى من أول رمية ٠

فظنت المرأة أن سمع القس الضعيف لا يستطيع تفسير اللغة اللاتينية ، لهذا أجابت بنفس لغته :

ـ أتوسل اليك برحمتك ، أيها الأب المقدس أن تتكرم بزيارة سجين جريح فى هذه القلعة ٠

فاجاب سدريك :

ـ يا بنيتى ، أعتذر لضيق وقتى ٠ انى مطلوب فى مسألة حياة أو موت ٠

ـ ومع ذلك ، اسمح لى يا أبى أن أتضرع اليك بالا تترك هذا المصاب دون تعزية ومواساة ٠

فاجاب سدريك متململا :

ـ يا ليت الأرض تنشق وتبلعنى !

ولعله كان سيتمادى فى نفس النبرة المغايرة تماما لشخصيته المفروضة ، عندما قطع المحادثة صوت أولريكا سيدة البرج العجوز ، وقالت للفتاة :

ـ كيف تتجاسرين ، أيتها العبدة فى ازعاج رجل الدين ، هيا ، اذهبى الى حجرة الرجل المصاب ، وقومى على خدمته حتى أعود ٠ تعال من هنا ، أيها الأب ، انك

غريب عن هـذه القلعة ولا تستطيع مغادرتهـا بدون مرشد · اقترب أيهـا الأب ، لانى أرغب فى التحدث معك ·

وانسحبت ربيكا · التى قد سمحت لها أولريكا بملازمة ايفانهو الجريح · وسمعت ربيكا منها بزيارة القس ، وكانت تأمل فى مقـابلته أن تستطيع ارسال رسالة لنجدتهم ·

★★★

الفصل العشرون

## وعد أولريكا

قادت اولريكا سدريك المعارض الحرون الى غرفة صغيرة ، واغلقت بابها بحرص شديد ، وقالت :

ــ انك سكسونى ، أيها الأب ٠ لا تنكر ذلك ٠

فاجاب سدريك :

ــ نعم ، أنا سكسونى ٠ دعينى ، فأنا فى عجلة من أمرى ٠

واستطردت اولريكا قائلة :

ــ وأنا التى أمامك الآن ، امرأة عجوز متغضنة كنت فى يوم ما ابنة النبيل لورد توركويلستون ٠

فقال سدريك :

– أنت ابنة توركويل ولفجانجر !! انت ابنة ذلك النبيل السكسونى ، صديق أبى ورفيقه فى القتال !

فرددت اولريكا قائلة :

– صـــديق أبيــك ؟ .. اذن فأنت ســـدريك الساكسونى ولكنك اذا كنت هو ، فلماذا هذا الثــوب الدينى ؟

– ليس هذا موضوعنا . أكملى ، واخبرينى بما تريدين .

– فى هذه القاعات الملطخة بدم أبى وأخوتى ، أجبرت أن أعيش كمحظية لقاتله ، فرونت دى بواف . وأخيرا ، رأيت وســيلة للانتقام . فمهما كانت حيــاة أولريكا ، فموتها سيكون جدير بابنة النبيل توركويل . توجد قوات على وشـــك الهجوم على القلعة . اسرع لتناشــدهم بالهجوم فورا ، وعندما ترى العلم الأحمر يرفـرف من البـرج الغربى ، ابـدأوا الهجـوم على

النورمانديين . فســوف يكون لديهم ما يشــغلهم فى الداخــل . هيــا ، اذهب ... واجه قدرك ، ودعنى لقدرى .

وكان سدريك سيطلب فهم المزيد ممــا ذكرته بشكل مبهم ، ولكن وصله صوت فرونت دى بواف :

ـ لماذا طال مكوث هذا القس ؟ سأحوله الى جثة هامدة ، اذا كان يحيك مؤامرات بين خدمى . فاختفت أولريكا عبر باب خاص عند ظهور فرونت دى بواف ، الذى قال :

ـ لعلك هيأت النادمين للموت ؟

فقال سدريك :

ـ وجدتهم يتوقعون الأســوأ ، لأنهــم يعرفــون مصيرهم المحتوم .

ـ اتبعنى فى هذا الممر ، لكى أخرجك من بوابة أخرى .

وأثناء سيرهما سويا ، **اخبر فرونت دى بواف القس المزعوم بالعمل المنوط به :**

ـ **انت ترى ، أيها السيد القس ، هؤلاء الخنازير** السكسونيين الذين تجاسروا فى حصار القلعة ؟ أخبرهم أى شىء تختاره عن ضعف القلعة ، أو أى شىء **يعوقهم ويعطلهم أمامها لمدة أربع وعشرين** ساعة ، **وخذ هـذه الورقة • ولكن انتظر ! هل تستطيع** القراءة **أيهـا القس ؟**

**فقال سدريك :**

ـ **ولا حرف • فأنا أتلو صلواتى غيبا ، بلا** كتاب•

ـ **هذا أفضل لى • أحمل هذه الرسالة الى قلعة فيليب دى مالفيزون ، وأخبره أن يبعث بها الى يورك بأسرع ما يمكن • وفكر فى أى حيلة ، لكى تبقى هؤلاء الأوغاد ، حيث هم الى أن يحضر أصدقاؤنا رماحهم •**

**فقال سدريك :**

ـ **اقسم بكل قديس بان أوامرك كلها مطاعة • ولن يتحرك أى سكسونى نحو هذه الجدران •**

وقاده فرونت دى بواف الى بوابة صـــغيرة فى مؤخرة القلعة ، **وقال له :**

– اذهب الآن ، واذا حملت هذه الرسالة وعدت ، فسترى اللحم السكسونى أرخص من لحم الخنزير فى شوارع شفلد · وعلى فكرة ، يبدو انك قس حبوب ، تعال بعد المعركة وستعب ما تستطيعه من النبيذ ·

**فاجابه سدريك :**

– تأكد من اننا سنتقابل ثانية ·

★★★

## الفصل الحادى والعشرون

# الراهب امبروز

وبعودة فرونت دى بواف الى القلعة أمر خدمه باحضار المسجونين سدريك واثلستين أمامه · وقال عندما ظهر المسجونان :

ــ حسن أيهـــا اللوردان الانجليزيان · كيف استمتعتما بالترفيه فى توركويلستون ؟ كم ستعطيانى من مال مقابل حياتكما ؟ واذا لم تدفعا ما فيه الكفاية ، فسأعلقكما من قدميكما حتى تنهش الطيور عظامكما · كم تدفع يا سدريك ؟!

فاجاب وامبا المسكين :

ـ ولا شيء · لقد انقلب دماغى رأسا على عقب منذ فترة طويلة ، فقد تعدله عندما تديرنى رأسا على عقب ·

فصرخ فرونت دى بواف :

ـ يا أيها القديس جنيفياف ! من هذا الرجل ؟

وضرب سدريك بظهر يده ، فأطاح بغطاء رأس المهرج ، وانفرج ثوبه ، فانكشف الطوق الذى حول عنقه ، رمز العبودية · وكرر ثانية :

ـ من هذا الرجل ؟

فقال دى بارسى الذى دخل لتوه :

ـ أعتقد أنه مهرج سدريك ·

فأجاب فرونت دى بواف :

ـ اذن ، سيشنق سدريك مع مهرجه ، على نفس الشجرة ، الا اذا دفع هو واثلستين بسخاء مقـــابل حياتهما · فثرواتهمـــا هى أقل شيء يمكن أن يتنازلوا عنه ، لذا عليهم أن يبعدوا معهم الخارجين عن القانون

الذين يحاصرون القلعة ، ويعيشـــون بعد ذلك كخدم مطيعين تحت أمرنا ٠

وقال لاثنين من اتباعه :

ـ اذهبا واحضرا لى سدريك الحقيقى الى هنا ٠ انى أعفو عن خطئكما هذه المرة ، حيث أنكما أخطاتما فى سدريك وما هو الا المهرج ٠

فصرخ دى بارسى :

ـ يا قديس السماء ! لابد أنه هرب فى ملابس القس !

فصاح فرونت دى بواف :

ـ كان هذا سدريك ، اذن ، الذى أخذته للبوابة ، وأخرجته بيدى !

وقال موجها كلامه لوامبا :

ـ وأنت أيها المهرج ، سألقى بك من البرج ٠ ان تجارتك هى الضحك ، فهل تستطيع الضحك الآن ؟

**فاجاب وامبا :**

ـ يمكنك أن تفعل بي ما تشاء ·

**فقال دى بارسى ، مخاطبا الئلستين :**

ـ هيا ، أيها السكسونى ، انهض وقل لنا ماذا ستفعل مقابل حريتك ·

**فقال الئلستين :**

ـ اعطونى حريتى ، أنا ورفاقى ، وسادفع لك ألف قطعة ذهبية ·

**فقال فرونت دى بواف :**

ـ وهل ستبعد هؤلاء الخارجين على القانون الذين يحاصرون القلعة ؟

**فاجاب الئلستين :**

ـ على قدر ما أستطيع ، سأجعلهم ينسحبون ، وأعتقد أن سدريك سيعاوننى على ذلك ·

**فقال فرونت دى بواف :**

ــ اتفقنا ، اذن · سنطلق سراحك · انه مبلغ تافه من المال · ولكن هذا الاتفاق لا يشمل اليهودى اسحق·

**فقال بوا جلبرت :**

ــ ولا ابنة اليهودى ·

**وقال دى بارسى :**

ــ ولا يشمل ليدى روينا ·

**فقال فرونت دى بواف :**

ــ ولا يشمل المهرج الفقير ، الذى سأحتفظ به واعاقبه كعبرة للآخرين ·

**فقال اثلستين بحزم :**

ــ ان ليدى روينا زوجتى مستقبلا · لو مزقتمونى اربا اربا ، فلن أوافق على ان أفارقها · ولقد فدى واميا اليوم حياة سدريك ، وأنا سأفدى عمرى قبل أن تمس شعرة من رأسها ·

**فقال دى بارسى :**

**ــ زوجتك مستقبلا ؟ ليدى روينا لعبد مثلك ؟**
**فاجاب اثلستين :**

**ــ أيهـــا النورماندى المتغطرس اننى من أسرة شريفة المحتد ٠ من أصل أكثر نقاء وأصالة عن فرنسى جبان ، يكسب ماله من السرقة ٠ اننى سليل ملوك أشداء فى الحروب حكماء فى المشورة ، الذين حفلت مآدبهم بمئات الرجال فى قاعاتهم العامرة بالاتباع ، والذين يتغنى الشـــعراء بأســمائهم ، والذين دفنت عظامهم بين صلوات القديسين ، وشيدت الكنائس فوق قبورهم ٠**

**فقال فرونت دى بواف :**

ــ لقد أحسن السكسوني الرد عليك تماما ٠

**فقال دى بارسى :**

**ــ صحيح يداه مقيدتان ولكن لسانه طليق ٠ ان براعتك فى الاجابة لن تحرر ليدى روينا ٠**

فلم ينبس اثلستين ببنت شفه ٠

وسكت الجميع عند وصول خادم يعلن عن وجود قس عند البوابة الخلفية ، ويطلب الاذن ، بالدخول ٠

**فقال فرونت دى بواف :**

ـ باسم القديس بنيت ، هل هو قس حقيقى هذه المرة أم خدعة أخرى ٠ فتشـوه ، أيهـا العبيد ، واذا تسببتم فى خداعى مرة أخرى فسأمزق آذانكم ٠

**فقال الخادم :**

ـ انه قس حقيقى ٠ انه القس امبروز من أتباع الراهب جورفولكس ٠

**فقال فرونت دى بواف :**

ـ اسمح له بالدخول ، وابعد هؤلاء السجناء ٠

دخل القس امبروز محاطا بخدم القلعة ٠ وبدا أنه فى حالة ثائرة جدا ٠

فقال وامبا وهو يمضى امام القس فى طريقه للخروج :

ـ هذه هى **السلام عليكم** الحقيقية ، أما الأخريات فكانت مخادعة ٠

**قال القس :**

ـ حمدا يا أمنا المقدسة ، اننى فى أمان ، أخيرا ، وبين أصدقاء مسيحيين ٠ انكم أصدقاء أيمر ، راهب جورفولكس ، انكم مدينون له بالمساعدة كفرسان ٠ لأن ما يقوله القديس أوجستين فى كتابه : ٠٠٠ ٠٠٠

وبدأ يتلو باللغة اللاتينية ، **فقاطعه فرونت دى بواف قائلا :**

ـ ماذا يقول هـذا الابليس ! ليس لدينا وقت لسماع ما يقوله القديس أوجستين ٠

**فصرخ القس امبروز :**

ـ يا الله السماوات ! ان هؤلاء الجنود سريعو الغضب ! ليكن معلوما لديكم ، بأن رجالا قتلة مجرمين يلقون تقوى الله وراء ظهورهم ، و ٠٠٠

فقال فارس الهيكل بوا جلبرت :

ـ أيها القس الفاضل ، قل لنا بوضوح ، هل سيدك ، الراهب ، أصبح أسيرا ؟ ولمن ؟

ـ انه في يد الخارجين على القانون ، لقد أخذوا منه مائتى قطعة من الذهب ، ويطلبون منه مبلغ أكبر قبل أن يسمحوا له بالحرية • ولذلك يتوسل اليكم كاصدقاء حميمين أن تساعدوه •

فقال فرونت دى بواف :

ـ فليذهب راهبك الى الأبالسة • كيف السبيل الى تحريره ، ونحن محاصرون بقوات تزيد عنا عشر مرات ، ونتوقع هجوما بين لحظة وأخرى ؟

فقال القس :

ـ وهذا ما كنت على وشك أن أخبركم به • لو كنت أعطيتمونى فرصة اتمــام حديثى • فلقد رأيت الخارجين على القانون يجمعون جموعهم ويتأهبون للهجوم على القلعة •

فصرخ دى بارسى :

ـ الى الأسوار ! ولنرى ما يفعلونه فى الخارج ٠

واندفع وفتح النافذة التى تؤدى الى سطح الأسوار ، وفى الحال قال للموجودين فى الحجرة بصوت عال :

ـ أيها القديس دنيس : لقد قال القس الحقيقة ! انهم يتقدمون بالمصدات والتروس الخشبية الضخمة حامليها فوق رؤوسهم ، والنبالة والرماة يتجمعون عند طرف الغابة مثل السحب التى تسبق العاصفة ! ٠

وتطلع فرونت دى بواف أيضا الى المهاجمين ، وقبض على بوقه فى الحال ونفخ فيه ، آمرا رجاله بأخذ مراكزهم على الأسوار ، وقال :

ـ وانت يا دى بارسى ، ستكون مسؤولا عن الجانب الشرقى ، حيث الأسوار فى أقل ارتفاع لها ، وأنت يا بوا جلبرت ستكون فى الغرب ٠ وسأهتم أنا ببوابة المدخل الرئيسى وبرجها ٠ لا تبقوا فى مكان



وقبض على بوقه ونفخ فيه

واحد ، لابد أن نكون فى كل مكان . ان أعدادنا قليلة ، ولكن النشاط والشجاعة ستعوضنا عن ذلك .

**وصاح القس امبروز وسط حالة الفوضى التى تسببت فيها الاستعدادات للدفاع :**

– ولكن ، أيها الفرسان النبلاء ، ألن يسمع أحد فيكم رسالة الأب المقدس ايمر ، راهب جورفولكس ؟ أتوسل اليك أن تسمعنى أيها السيد النبيل ريجنالد .

**فقال النورماندى الشرس :**

– اذهب ورتل صلواتك ، لأننا ليس لدينا الوقت لسماعك . انتم هناك ! أعدوا الزيت المغلى لالقائه على رؤوس المهاجمين ، زودوا الرماة بالسهام . وارفعوا علمى فوق البرج ، وسيكتشفون فورا مع من يتعاملون فى يومهم الأغبر هذا .

**واستطرد القس محاولا لفت الانتباه :**

– ولكن أيها السيد النبيل ، لابد أن أطيع الراعب وأبلغ رسالته لك .

**فقال فرونت دى بواف :**

ـ كفاك هراء ... ابعدوه ... بل احبسوه ، حتى تنتهى المعركة .

وتطلع بوا جلبرت مرة أخرى من النـافذة على المهاجمين ، وقال :

ـ لم أكن أتوقع أن أرى هؤلاء الرجال على مثل هذا التنظيم . انهم يختفون فى مسيرتهم وراء الأشجار ، ويحرصون الا يعرضوا أنفسهم لرماتنا . أقسم بأنهم لابد أن يكونوا تحت قيادة فارس محنك فى فن الحرب والقتال .

**فقال دى بارسى :**

ـ اننى أراه . اننى أرى بريـق درعه . انظر هناك ... انظرا هذا الرجل الطويل ذى الدرع الأسود الذى ينظم صـفوف القوات البعيـدة . وحق القديس

دنيس ، أقسم أنه نفس الفارس الأسود الذى هزمك يا فرونت دى بواف فى مباريات اشبى !

وذهب كل فارس الى موقعه ، على رأس عدد قليل من الأتباع الذين استطاعوا أن يجمعوهم ، وانتظروا هناك بتصميم هادىء للهجوم المرتقب ..

★★★

## الفصل الثانى والعشرون

# الهجوم على البرج

غالبا ما تكون لحظات الخطر لحظات عطف ومحبة لقلوب مفتوحة · فنحن نتخلص من حذرنا ، ونفشى سر قوة تلك المشاعر التى نحرص على اخفائها فى الأوقات الوديعة ·

عندما وجدت ربيكا نفسها بجانب ايفانهو مرة أخرى ، كانت مندهشة للسعادة التى تشعر بها ، حتى فى أوقات يحلق فيها الخطر من حولهما ·

وضعت يدها فوق جبينه وسألته عن صحته وأفشت النعومة التى فى يدها والتى فى صوتها باهتمام

عطوف أكثر مما كانت هى نفسها تود افشاءه · فاهتز صوتها ، وارتعشت يدها · وأعادهـا لصوابها سؤال ايفانهو البارد :

ـ هل أنت الفتاة ؟

ان حبها ، الذى تشعر به لن يشاركها فيه أبدا · وأفلتت منها تنهيدة ، ولكنها كادت لا تسمع · فسألته مرة أخرى عن حالته الصحية بنبرة صداقة هادئة · فأجاب ايفانهو بأنه أفضل مما كان يتوقع ، وقال :

ـ شكرا ، يا عزيزتى ربيكا ، على رعايتك لى · فقالت الفتاة لنفسها :

ـ انه يقول لى « عزيزتى ربيكا » ، ولكنها بنبرة باردة لا مبالية ·

واستطرد ايفانهو قائلا :

ـ ان عقلى مشتت ومصاب بأفكار مضطربة أكثر من اصـابة جسمى واحسـاسى بالألم · ومن أحاديث الرجال الذين تركونى لتوهم ، أحكم أننى فى قلعة

فرونت دى بواف • اذا كان الأمر كذلك ، فكيف ستكون نهاية هذا الوضع • وكيف أستطيع أن احمى روينـا وأبى ؟

وازدادت حاليا الضـجة داخـل القلعة ، بسبب اسـتعدادات الدفاع وتضـاعفت عشر مرات أو تزيد الخطوات الثقيلة للرجال المسلحين ولابسى الدروع للآذان عابرة الجـدران والممرات الضيقة المؤدية الى الأبـراج المختلفة • وكانت تسـمع أصـوات الفرسان ، وهم يشـجعون رجالهم ، وكثيرا ما تتداخـل أوامرهم مع صرخات أتباعهم • وبدت هذه الأصوات أكثر افزاعا من الأحداث المروعة التى تنبىء عنها • ومع ذلك ، كان فيها شىء ملهم يستطيع عقل ربيكا النبيل أن يحس به • واشتعلت عيناهـا بالضياء ، بينما هربت الدماء من وجنتيها •

ولكن ايفـانهو كان كجواد الحرب يحتدم غيظـا ونفاد صبر ، وشـق عليه ألا يسـتطيع الاشتراك فى القتال ، فقال :

ـ حبذا لو استطعت أن أجر نفسى الى هذه النافذة لأشهد سير هذه اللعبة الشجاعة ٠ حبذا لو كان لدى قوس لأرمى به أو فأس لأضرب به من أجل خلاصنا ! ولكن لا ٠٠٠ ان هذا عبث ٠٠٠ عبث ٠٠٠ فأنا أعزل بلا قوة ٠

**فقالت ربيكا :**

ـ لا تزعج نفسك أيهـــا الفارس النبيل ٠ لقد توقفت الأصوات فجأة ، لعلهم لن يشتركوا فى المعركة٠

**فقال ايفانهو فى ضيق :**

ـ انت لا تعرفين شيئا عن القتال ٠ هذا التوقف يدل فقط على أن الرجال على أهبة الاستعداد فى مراكزهم عند الأسوار ، وفى انتظار هجوم سريع ، أما ما سمعناه من قبل ، فكان تجميع القوات للعاصفة التى ستنفجر حالا بكل ضراوتهـــا ٠ هل يمكن لى أن أصـــل لهذه النافذة ؟

**فقالت ربيكا :**

ـ ستضر بنفسك اذا حاولت ٠

ولما رأت شغفه الشديد ، أضافت قائلة :

ـ سأقف أنا عند النافذة ، وأروى لك ما يحدث خارجها ·

وكان المنظر الذى تستطيع ربيكا أن تراه ، هو البرج الخارجى ، الذى من المحتمل أن يكون أول نقطة هجوم · انه مبنى ليس عظيم الارتفـــاع أو القــوة ، والمقصود به ، حماية البوابة الخلفية الصغيرة ، التى أخرج فرونت دى بواف منها سدريك مؤخرا · وكانت محاطة بسور خشبى من الخارج ، وخندق مائى يفصلها عن بقية القلعة ·

وقالت ربيكا :

ـ جماعات غفيرة من حملة الأقواس تصطف عند نهاية الغابة ··· ولكن قليل منهم متقدم أمام ظلال الأشجار القاتمة ·

فسأله ايفانهو :

ـ تحت أى علم ؟

**فاجابت ربيكا :**

ـ لا يوجد أى علم أو أى شعار ٠

**فقال الفارس :**

ـ هذا أمر غريب ! ٠٠ يهجمون على القلعة دون اظهار علم أو شعار ! هل ترين من يقوم بالقيادة ؟

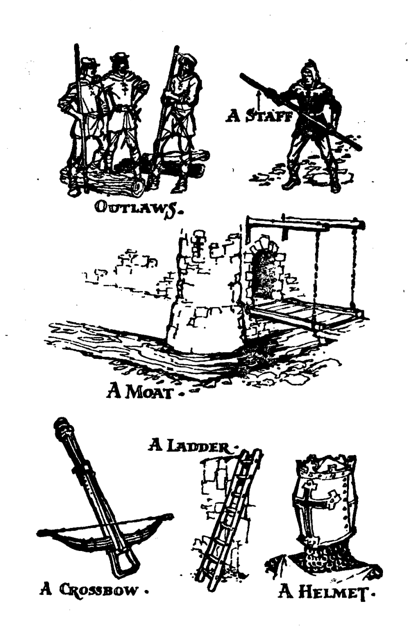
**فاجابت ربيكا :**

ـ أرى فارسـا فى درع أسـود يصـدر اليهم الأوامر ٠

ـ الا يوجد قادة غيره ؟

**فقالت ربيكا :**

ـ لا أستطيع أن أرى من هنا أحدا غيره ٠ ولكن لابد أن الجانب الآخر من القلعة معرض للهجوم أيضا ٠ يبدو أنهم يتقدمون الآن ٠ حمانا الله من كل مكروه ! يا له من منظر رهيب ! ان المتقدمين منهم يحملـون تروسـا مهولة الحجم من الألواح الخشبية ٠ ووراءهم حاملو الأقواس ٠ انهم يرفعون أقواسهم ! ٠٠ يا الهى ، فلتغفر لعبيدك فأنت خالقهم !


A Staff
Outlaws.
A Moat.
A Ladder.
A Crossbow.
A Helmet.

وتوقفت عن وصفهـا بسبب اشـارة الهجوم ، وصوت البوق ، الذى ردوا عليه من الأسوار بضربات الطبـول · وازدادت الضجة الرهيبة وهتافات الفريقين وصراخهم · فالمهاجمون يصرخون :

– القديس جورج من أجل انجلترا السعيدة !

والنورمانديون يردون عليهم بصرخات عالية :

– دى بارسى ! فرونت دى بواف !

وقوبلت الهجمات بدفاعات قوية مثلهـا · أما حاملو الأقواس المدربون فى مباريات الغابة الرياضية . فكانت رمياتهم فى منتهى الحذق والبراعة حتى انه لم يسلم منها مدافع واحد يظهر نفسه · وطارت السهام كالسحب نحو كل نافذة أو فتحة فى الأسوار · وأجاب عليهم المدافعون بالمقاليع والنبال · ويزداد الصياح فى كلا الجانبين ، خصوصـا عند وقوع ضربة حظ ، أو حدوث هزيمة معينة ·

وصرح ايفانهو :

– كتب على أن أرقد هنا حبيس هذا السرير ،

بينما اللعبة التى تهب المرء الحرية أو الموت ، تدور رحاهـا على أيدى الآخرين ! انظرى من النـافذة مرة أخرى ، أيتهـا الفتاة الطيبة ، ولكن احـذرى حاملى الأقواس • ماذا ترين يا ربيكا ؟

ـ لا أرى الا وابلا من السهام يخطف الأبصار ، ولا أرى من رموها •

فقال ايفانهو :

ـ لن يستمر هذا طويلا ، لابد أن يشددوا الهجوم ويحتلوا القلعة بقوة السلاح • فالسهام لا تفيد كثيرا مع الأسوار الحجرية • ابحثى عن الفارس الأسود •

فقالت ربيكا :

ـ أين أنت ••• أين ، لست أراه •

فصرخ ايفانهو :

ـ أيها الأحمق الجبان • هل تراجع عندما حمى الوطيس ؟

فقالت ربيكا :

– انى أراه الآن ! انه على رأس جماعة من الرجال بالقرب من السور الخشبى المحيط بالبرج الخارجى . انهـــم يزيلـــون العمـــدان ويحطمـــون بفؤوســـهم الســـور الخشبى . انهم فتحوا ثغرة فيـــه ! .. انهم يتراجعون ! .. فرونت دى بواف على رأس المدافعين . أرى شكله الضخم من فوق الزحام . عادوا للهجوم ، التحموا رجلا لرجل فى الأرض المكشوفة . انه يشـــبه التقاء بحرين تحركهما رياح معاكسة !

وأدارت رأسها من النافذة ، وكأنها لم تعد تقدر على مشاهدة منظر بشع ، ثم أجالت نظرها مرة أخرى وصاحت :

– فرونت دى بواف والفارس الأسود ، مشتبكين بالأيدى عند السور الخشبى ، وسط زئير أتباعهما ، الذين يراقبون مسار القتال . فلتساعده السماء !

ثم صاحت عاليا :

– لقد سقط ! سقط :

فصرخ فيها ايفانهو :

– من ذا الذى سقط ؟ بالله عليـك ، أخبرينى أيهما الذى سقط ؟

**فاجابت ربيكا بضعف :**

– الفارس الأسود !!

**ثم صرخت فى الحال بحماس وفرح :**

– لا ! لقد نهض ··· انه يحارب وكأن فى ذراعه قوة عشرين رجلا ··· انكسر سيفه ··· يا الهى ··· انه يخطف فأس رجل بجانبه ·· انه يضيق الخنـاق على فرونت دى بواف بضربات متلاحقة ··· العملاق يترنح مثل السنديانة بعد ضربات فأس قاطع الأشجار · انه يقع ! انه يقع !

**فصرخ ايفانهو :**

– فرونت دى بواف ؟

**فاجابت اليهودية :**

– فرونت دى بواف ! هرع رجاله الى نجدته · وعلى رأسهم بوا جيلبرت ·· أجبروا الفارس الأسود أن يتوقف ··· سحبوا فرونت دى بواف داخل الأسوار ·

فقال ايفانهو :

ـ لقد فاز المهاجمون بالسور الخشبى ، أليس كذلك ؟

ـ فازوا ! فازوا أ وهم يكيلون الضربات للمدافعين عند البرج الخارجى · نصبوا السلالم الخشبية والبعض يتزاحم على صعودها فوق أكتاف البعض الآخر ··· الحجارة وجذوع الشجر والعمدان الخشبية تنهال فوق رؤوسهم · يحملون الجرحى الى المؤخرة ، ويحل محلهم رجال جدد بسرعة ·

ـ من المهزوم ؟ ومن الغالب ؟

فاجابت ربيكا وهى ترتعش :

ـ انهارت السلالم ··· الجنود تسحق تحتها ··· المدافعون متفوقون ·

فصرخ ايفانهو :

ـ أيها القديس جورج ، فلتحارب معنـا ! هل يتراجعون ؟

ـ لا ! انهم يتحملون ببسالة • الفارس الأسود يقترب من بوابة البرج بفأسه • يمكنك سماع الضربات الراعدة التى يحطم بها البوابة ، انهـا تعلو على صراخ المعركة وعويلها • الحجارة وكرات الحديد تنهال عليه كالمطر ••• انه لا يبالى بها •

فنهض ايفانهو ، من فرحه ، قليلا وقال :

ـ لا يوجد فى انجلترا كلها الا رجل واحد يحارب بهذا الشكل •

واستمرت ربيكا قائلة :

ـ البوابة تترنح • انها تسقط ، وهم يهجمون • لقد فازوا بالبرج ! اوه ، يا الهى ! لقد رموا بالمدافعين من سطح السور فى خندق المياه •

فصرخ ايفانهو :

ـ الجسر ••• الجسر الذى يوصل للقلعة فوق خندق المياه ••• هل استولوا عليه ؟

واجابت ربيكا :

– لا ، لقد حطم بوا جيلبرت الجسر . وقليل من المدافعين فروا معـه لداخـل القلعة . والصرخات التي تسمعها تعبر عن مصير الآخرين . وا أسفاه ! أرى أن مشاهدة النصر أصعب من مشاهدة المعركة .

فقال ايفانهو :

– ماذا يفعلون الآن ، يا فتـــاة ؟ هيا تماسكى وطالعى ... لا وقت للاغماء .

فأجابت ربيكا :

– المعركة انتهت مؤقتا . وأصدقاؤنا يحصنون أنفسهم في البرج الخارجي .

فقال ايفانهو :

– ان أصدقاءنا بالتأكيد لن يتركوا هجوما بدأوه بهذه الروعة . أوه ، لا ! انني أؤمن بالفارس العظيم الذي مزقت فأسه أشجار السنديان وقضبان الحديد .

ثم تمتم لنفسه :

– غريب هذا الرجل · فهو بلا نظير ! ألم ترى يا ربيكا أى علامة تميز هذا الفارس ؟

**فقالت ربيكا :**

– أبدا · كل شىء فيه لونه أسود ·

**فقال ايفانهو :**

– ربيكا ، انه بطل ··· بالتأكيد انهم يريحون رجالهم ، أو لعلهم يجهزون وسيلة لعبور خندق المياه · أقسم بشرف منزلى ، وأقسم باسم حبيبتى روينـــا الجميلة ، بأنى مستعد أن أقاسى عشر سنوات فى الأسر فى سبيل أن أحارب بجانب هذا الفارس العظيم ·

**فقالت ربيكا :**

– لماذا هـذا الظمأ للقتـال ؟ ماذا يبقى لكم ، وتفوزون به ، بعد كل الدم الذى سال ، وكل الآلام التى عاينتموهـا ، وكل الدموع التى تسببت فيهـا أعمالكم ؟ ماذا يبقى لكم بعدما يحطم الموت حراب الرجال الأقوياء ؟ المجد ؟ وا أسفاه · ما هو المجد ؟ درع واه يسـمونه اكليلا ، يعلقونه فـوق قبر الجندى المعتم

المتفسخ ، والكتابة فوق شــاهده ، التى لا يســتطيع قراءتها الحاج الأمى ٠

وكأنما تعب الفارس من تأثير هذا الكلام ، فراح غيبوبة جديدة ٠

وتطلعت ربيكا نحو سريره ، وقالت :

ـ انه ينـــام مثخن بجراح الجسـد والروح ، وا أسفاه ، هل هى جريمة لو نظرت اليه ، وربما تكون المرة الأخيرة ؟ ولكنى سوف أقتلع هذه الحماقة من قلبى رغم نزيفه ٠ وسحبت حجابها على وجهها ، وجلست بعيدا عن الفارس الجريح ٠

★★★

## الفصل الثالث والعشرون

# انتقام اولريكا

رقد فرونت دى بواف صاحب القلعة ممددا على فراش الموت • لقد حلت اللحظة التى تنسل منها الأرض وكنوزها من عينيه • وارتعد قلبه الجبار عندما حملق فى الظلام المجدب المترامى لمستقبل ما وراء الموت • وأشعلت حمى جسده فزع عقله • وتمتم لنفسه قائلا :

ـ لقد سمعت الناس يتكلمون عن الصلاة . ولكنى لا ••• لا أجرؤ على الصلاة !

وصرخ صوت محطم بجانب سريره :

ـ يقول فرونت دى بواف انه لا يوجد شىء لا يجرو على عمله •

**فارتعد وقال :**

ـ من هناك ؟ ماذا انت يا من تردد كلمـــاتى كطائر الليل الأحمق ٠ تعال أمام سريرى حتى أراك ٠

**فاجاب الصوت :**

ـ أنا قرينـك الشرير يا ريجنـالد فرونت دى بواف ٠

ـ ابتعد ٠٠٠ ابتعد ، ولا تزعجنى أكثر من ذلك ٠ دعنى أموت فى سلام ٠

**فقالت اولريكا ، وهى تخطو امام سرير فرونت دى بواف :**

ـ لا ، لن تموت فى سلام ٠٠٠ حتى فى الموت سوف تفكر فى قتلاك ٠٠٠ فى صرخات الاسترحام التى أخذت ترددها جنبات هذه القلعة ٠٠٠ فى الدم الذى جف على أرض حجراتها !

**فاجاب فرونت دى بواف :**

ـ أيتها المخلوقة الحمقاء ! انها أنت اذن ، جئت تسخرين منى فى ساعة موتى ؟

فاجابت :

ـ نعم : انهـا اولريكا ، ابنة القتيل توركويل فولفجانج ، أخت ابنائه الموتى ٠ استمع لهذه الأصوات التى تخلع القلوب !

كانت أصوات الهجوم المتجدد تجلجل حاليا بشكل مرعب فى جنبات جدران القلعة ٠٠٠

واستمرت قائلة :

ـ ان صرخات الحرب هذه ، نذير بداية سقوط منزلك ٠

وصرخ فرونت دى بواف :

ـ كاذبة ! ان أعوانى يحاربون بشـجاعة ، ان أسوارى قوية ٠ وصرخات قتال بوا جيلبرت ورجاله ترتفع عاليا فوق المعركة ٠ وبشرفى عندما تشعل النار للاحتفال بدفاعنـا ، فسـوف تحرقك هذه النار حتى عظامك ٠

فاجابت اولريكا :

ـ اتعظ اذن ، واعرف مصيرك ، الذى لا تستطيع

ان تتجنبه بكل قوتك وجسارتك ، بالرغم من أن هذه اليد الواهنة هى التى جهزته لك • الا ترى الدخان الذى يتصاعد فى سحب داكنة الى غرفتك ؟ الا تذكر مخزن الأخشاب والفحم الذى تحت هذه الغرفة ؟

**فصرخ فى غضب :**

ـ يا امرأة ! لا يمكن أن تكونى أشعلت فيه النار ! ان القلعة تشتعل !

**فقالت اولريكا فى هدوء :**

ـ ألسنة النار ترتفع بسرعة ، وسأعطى اشارة ، فورا ، للمهاجمين ليشددوا هجومهم ، فلا يلتفت أحد لاطفائها • الوداع يا فرونت دى بواف •• وربما أعطيك شيئا من الراحة وأنا أخطرك بأن اولريكا ، رفيقة اثمك ستكون أيضا رفيقة عقوبتك ••• وستكون أيضا زميلة سفرك الى نفس الساحل المظلم •

وبعدها ، غادرت الغرفة ، واستطاع فرونت دى بواف أن يسمع صوت المفتاح الثقيل وهى تقفل به الباب وراءها ، وهكذا تقطع عليه أى بارقة أمل •

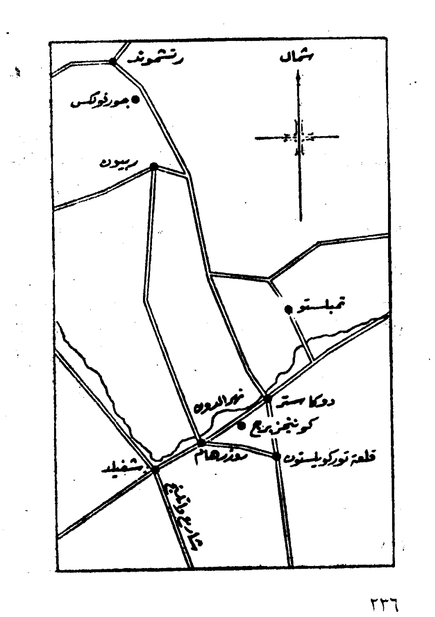
وأخذ يصرخ من ألمه ورعبه ، وينادى على خدمه وحلفائه :

ــ « ستيفان ، كليمنت ، جليلز ··· انى أحترق انهم لا يسمعونني ، ان صوتى يضيع فى ضجة المعركة· هنا · انقذونى ! انقذونى ! بوا جلبرت ! دى بارسى !
والدخان يتصاعد أكثر وأكثر !

وفى جنون اليأس أخذ يصيح هذا البائس مع صيحات المقاتلين ، ويصب اللعنات على نفسه ، وعلى الجنس البشرى ، وعلى السماء نفسها · وأخذ يضحك فى هستيريا ··· ها ها ها ·· وسط ألسنة النار الحمراء عبر الدخان الخانق ، حتى جلجل السطح المقوس ثانية ، فصرخ فى نبرة مغايرة :

ــ اولريكا ، أهذه أنت ؟

★★★


شمال
رتشموند
جورفوكس
ريبون
تمبلستو
دونكاستر
نهر الدون
كونيجزبرج
قلعة توركويلستون
روذرهام
شفيلد
شارع وانفيلد

## الفصل الرابع والعشرون

# القلعة تحترق

أخبر سدريك الفارس الأسود ولوكسلى عن رسالة أولريكا ، بالرغم من أنه لم يضع فيها ثقة كبيرة وفرحا بأن لهما نصيرا داخل القلعة ، ووافقا على القيام بهجوم فى أقرب وقت ممكن ٠

واستغل الفـارس الوقت فى تشييد جسر عائم يتمكنون بواسطته أن يعبروا خندق المياه ٠ ولم يأسفوا على الوقت الذى صرفوه فى هـذا ، لأنه أعطى أولريكا فرصتهـا لتنفيذ خطتهـا ٠ وعندما انتهوا من تجهيز الجسر ، خاطب الفارس الأسود رجاله قائلا :

ـ ان الشمس الآن فى طريقها للغرب ، وسيهجم

علينا فرسان بوا جلبرات من يورك ، الا اذا تصرفنا بسرعة · سأرسل واحدا منكم الى لوكسلى ليخبره بقصف الجانب المقابل من القلعة بالسهام ، ويتقدم برجاله ، وكأنه على أهبة الهجوم · وأنتم يا أصحاب القلوب الانجليزية الصادقة تقفون بجانبى استعدادا لطرح الجسر فوق خندق المياه ، ثم تتبعونى بكل جسارة لنعبره ، وتساعدونى فى فتح البوابة الخلفية للقلعة ·· وعندئذ نسمى باسم الله ، ونفتح الباب !

وفجأة فتح باب البرج الخارجى ، المقابل للباب الخلفى للقلعة ، وطرح الجسر العائم ، وفى الحال ، وصل الفارس الأسود ووراءه سدريك الى الجانب الآخر · وهنا بدأ يقصف بفأسه فوق بوابة القلعة وكانت تحميه بعض الشىء أطلال الجسر القديم الذى دمره بوا جلبرت ، عند انسحابه من البرج الخارجى · ولم يجد الرجال الذين خلف الفارس هذه الحماية ، فسقط اثنان على الفور مطعونين بسهمين ، وسقط اثنان آخران فى خندق المياه ، وانسحب الباقون الى البرج ·

وكان وضع سدريك والفارس الأسود فيه خطورة واضحة ، لولا الرماة فى البرج الذين كانوا يقذفون



واخذ يضرب البوابة بفاسه

بوابل من السهام على أسوار القلعة ، فيصرفون عنهما انتباه المدافعين من داخل القلعة ٠

وصرخ دى بارسى :

ـ يا للعار ، هل تعتبرون أنفسكم جنودا وتدعون هذين الكلبين يحتفظان بموقعهما تحت أسوار القلعة ! ألقوا عليهما الحجارة من فوق الأسوار ٠

فى هذه اللحظة التقط نظر المهاجمين العلم الأحمر فوق البرج الغربى الذى وصفته أولريكا لسدريك ٠ وكان أول من لاحظ ذلك هو لوكسلى الذى صرخ قائلا :

ـ أيها القديس جورج ! اهجموا أيهـــا الرجال الصناديد ! لماذا نترك سدريك والفارس الأسود يهاجمان البوابة وحدهما ؟ القلعة أصبحت قلعتنا ، لدينا فيها أنصار ٠ وهذا العلم هو الاشارة المتفق عليها ٠ هيا يا من تستنشقون رائحة الحروب !

وبدأ هو هجومه ، فصوب قوسه الطيب وأرسل سهما اخترق فورا صدر أحد الرجال المسلحين الذى كان على وشك القاء قطعة ضخمة من الحجارة على رأسى

سدريك والفارس الأسود · وتوالت السهام فى صدور ورؤوس المدافعين ، فأخذوا يتساقطون من السور الى خندق المياه ·

فقال دى بارسى :

ـ هل تتقهقرون يا جبناء !

وأخذ المعول من أحد رجاله ، وأمطر بضرباته قطعة ضـــخمة من أحجار السور التى أوشكت على السقوط . وكان وزنها يكفى ، لو سقطت أن تحطم الفارسين والجسر العائم أيضا · ورأى الجميع الخطر المعلق . وتجنب الجميع الوقوف فوق الجسر · وصوب لوكسلى بقوسه الطيب ثلاث مرات على دى بارسى ، ولكنها ارتدت كلها بسبب الدرع الذى يرتديه ·

فقال لوكسلى :

ـ اللعنة على هذه السترة الفولاذية الأسبانية ·

ثم بدأ ينادى قائلا :

ـ أيها الأصدقاء ! النبيل سدريك · ارجعا ، ودعوا الأطلال تتساقط !

ولم يسمع تحذيره ، بسبب الصيحة التي كانت تصدر من ضربات الفارس نفسه على البوابة ٠

وبدأت قطعة السور الضخمة تهتز — ودى بارسى يعمل بمعوله فى اخلاص ، وكاد ينجح ، لولا صوت بوا جلبرت جاء له قرب اذنيه قائلا :

— ضاع كل شىء ٠ دى بارسى ٠٠ القلعة تحترق ! كل الجانب الغربى تلتهمه النيران ٠ لقد بذلت قصارى جهدى فى اطفائها بلا جدوى ٠

فقال دى بارسى :

— يا قديسى السماء ، ما العمل ؟

فقال بوا جلبرت :

— اسمع ٠ خذ رجالك وانزل بهم ، وافتحوا البوابة الخلفية ٠ لا يوجد الا رجلان على الجسر ٠ القوا بهما فى الخندق ، وادفعوا بالجسر الى البرج الخارجى ٠ وسوف أندفع أنا من البوابة الرئيسية لأهاجم البرج من الجانب الآخر ٠ واذا استعدنا هذا البرج ، فسنقدر على الصمود حتى تأتينا المساعدة ٠

فقال دى بارسى :

ـ انها خطة جيدة ٠

وأسرع فى جمع رجاله ، واندفعـــوا نازلين الى البــوابة الخلفية ، وعملوا على فتح البوابة ٠ ولكن ، ما كان هذا يتم ٠ الا وانطلق الفــارس الأسود بقوة مهولة فشق طريقه الى الداخل ، بالرغم من دى بارسى وأعوانه ٠ وسقط رجلان ، وتراجع الباقون ، فقال دى بارسى :

ـ كلاب ! هل تدعان رجلين يفــوزان بالســبيل الوحيد للأمان ٠

فقال رجل مدرع وهو ينهار من ضربات الفارس الأسود :

ـ انه شيطان وأسود ٠

فصرخ دى بارسى :

ـ دعنى أتعامل معه بنفسى ٠

وجلجل الممر بضربات دى بارسى بسيفه والفارس

الأسود بفاسه . وأخيرا استقبل دى بارسى ضربة أطاحت به على الأرض . فقال الفارس الأسود وهو ينقض فوقه :

– دى بارسى ! استسلم أفضل لك .

فأجاب دى بارسى :

– لن أستسلم لشخص مجهول ! افصح عن اسمك !

فهمس الفارس الأسود فى أذنه بعض كلمات . جعله يغير من نبرة صوته الى نبرة خضوع واذعان وقال فى طاعة مدهشة :

– سلمت نفسى !

فقال الفارس الأسود :

– اذهب الى البرج الخارجى ، وانتظر هناك أوامرى .

فقال دى بارسى :

– دعنى أقول لك أولا ما يهمك الوقوف عليه :

ان ولفريد ايفانهو جريح وأسير ، وستلتهمه نيران القلعة . الا اذا أنقذ في الحال · ان هذا السلم يؤدي الى حجرته ·

وأثناء هذا القتال والمحادثة الوجيزة التى حدثت فى نهايته ، كان سدريك قد عبر الجسر مع مجموعة من الرجال ، وصدوا أتباع دى بارسى الى الساحة · وسلم دى بارسى سيفه الى لوكسلى ، الذى التقى به مصادفة ·

وعندما ازدادت النار ، وجاءت علاماتها الى الحجرة التى فيها ايفانهو ، وربيكا التى تسهر عليه · وكان قد استيقظ من غفوته القصيرة بسبب أصوات المعركة . ووقفت ربيكا ، اذعانا لرغبته القلقة ، أمام النافذة . ولكن الدخان منعها من رؤية أى شيء · واخيرا كانت كمية الدخان الكبيرة التى تصاعدت الى الحجرة ، والصرخات من أجل الماء التى تعالت على صوت المعركة انذارا لهما عن خطرهما الجديد ·

**فقالت ربيكا :**

ـ ان القلعة تحترق ! ماذا نفعل لننجو بأنفسنا ·

فقال ايفانهو :

ــ اهربى ، يا ربيكا ، وانقذى حياتك ، واتركينى لارادة الله .

فاجابت ربيكا :

ــ لن أهرب . سننجو معا أو نموت معا .

ودخل الحجرة عندئذ بوا جلبرت وكانت هيئته

مرعبة ، فدرعه محطمة وملطخة بالدم ، وخوذته عليها آثار الحريق ، وصاح فى ربيكا :

ــ لا يوجد الا سبيل واحد للنجاة . لقد اجتزت طريقى عبر مخاطر كثيرة لأصل اليك ، وأقول لك ذلك .

فقالت ربيكا :

ــ أفضــــل عندى أن تلتهمنى النيران ولا أقبل النجاة منك .

ــ ليس لك الخيــار يا ربيكا . لقد هربت منى مرة ، ولكنك لن تهربى منى مرتين .

وأمسك بالفتـاة المرعوبة ، وحملها بين ذراعيه وخرج بها من الحجرة ، بالرغم من صرخاتها . ودون أن يعبأ بالتهديدات العاجزة التى أطلقها ايفانهو عليه .

ودخل الفارس الأســود الحجرة فى هذه اللحظة وقال :

ــ لولا صراخك يا ايفـانهو لما استطعت العثور عليك .

فقال ايفانهو :

ــ ان كنت فارسا حقا ، فلا تحفل بى ... وتعقب هذا الرجل الخارج من هنا ... وانقذ ليدى روينا ... وابحث عن النبيل سدريك .

فقال الفارس الأسود :

ــ كل بدوره . ولكن دور انقاذك أولا .

وأمسك بايفانهو ، وحمله بكل سهولة ، كما حمل بوا جلبرت ربيكا . واندفع به الى البوابة الخلفيـــة . وهناك سلم حمله لاثنين من الخارجين على القانون ، وتركه فى رعايتهما . ثم دخل القلعة مرة أخرى ليســاعد فى انقاذ الأسرى الآخرين .

كان أحد الأبراج تلتهمه النيران التى تتطاير بعنف من نافذة الى أخرى • وتتبع المهاجمون المدافعين من حجرة الى أخرى • وكان الهواء يزخر بالصراخ وجلبة الدروع ، والأرضيات يبللها الدم •

واندفع سدريك وسط هذه الفوضى للبحث عن روينا • ووصل لحجرتها بعدما فقد كل امل فى انقاذها •

أما اثلستين ووامبا فلقد هربا من حجرتهما الى الساحة التى كانت مشهدا من مشاهد المعركة • وهنا جلس بوا جلبرت فوق جواده ، محاطا بالعديد من رجاله • ولقد تم انزال جسر البوابة الرئيسية فامتد فوق خندق المياه ، ولكن حاملى الأقواس قد تزاحموا على المدخل ليمنعوا هروبهم •

ووضع بوا جلبرت ربيكا فوق جواده أمام أحد خدمه فى وسط مجموعة رجاله •

وعندما جاء اثلستين الى الساحة ، رأى ربيكا من بعيد ، فاعتقد أنها روينا التى يحملها الفارس • فانتزع فأسا من قبضة رجل ميت واندفع نحو بوا جلبرت صارخا :

ـ التفت ، أيها الفارس المزيف ، واترك من لست جدير بلمسها ٠

فقال بوا جلبرت :

ـ يا كلب !

ومن فوق جواده انزل بضربـة رهيبة على رأس اثلستين ، فألقاه أرضا بلا حراك ، ثم صرخ عاليا :

ـ من يريد أن ينقذ نفسه فليتبعنى !

وركض بوا جلبرت عبر الجسر ، مبعثرا فى حاملى الأقواس ومن ورائه خدمه ، وبعض الرجال المدرعين ٠

وكانت النيران تنتشر بسرعة عبر جميع أرجـاء القلعـة ، عندما ظهرت أولريكا فـوق البرج ٠ يتطاير شعرها الأشيب الطويل من ورائها ٠

وتصـــاعدت ألسنة النيران الى عنـان السـماء وتساقطت الأبراج ، الواحد تلو الآخر ٠ وكانت هيئة أولريكا المتوحشة تبدو للعيان لفترة طويلة ٠ وأخيرا انهار البرج كله من تحتها ، وتلاشت هى فى ألسنة النيران التى التهمت سيدها ، فرونت دى بواف ٠٠ !!

# قانون الخارجين على القانون

طلع الفجر على الغابة ، فلمعت فروع الأشجـــار الخضراء بكل لآلىء الندى العالق بها · وتجمع الخارجون على القانون حول سنديانتهم المعهودة ، ينتظرون توزيع المغانم والاسلاب التى حملوها من القلعة ·

اتخذ لوكسلى له مقعدا ، وأعطى الفــارس الأسود مقعدا عن يمينه ، وسدريك مكانا عن شماله ، وقال :

ــ أيها النبيل سدريك ، هيا الى توزيع المغــانم ، ولتكن الى قسمين · ولك أن تختـــار أيا منهمــا كهدية لرجالك الذين شاركوا فى هذه المغامرة ·

فقال سدريك :

ـ ايهـــا السيد الطيب ، ان قلبى مفعم بالحزن ، لقد مات النبيل اثلستين ·· ولقد انتظرت فقط لأحمل جسمانه الى مثواه الأخـــير · اننى لم ابق لأشـــارك فى الأسلاب ، ولا أنا ولا أحـــد من رجالى سيقبل أى شىء منها · وأود فقط أن أتقدم لك بالشكر ، وكذلك لرجالك الشجعان لانقاذكم حياتنا وشرفنا · أما عن رجالى ، فانى سأتكفل بمكافاتهم من ثروتى الخاصة ·

فقال ومبا :

ـ البعض كانوا حكماء بمـــا فيه الكفاية ، فكافأوا أنفسهم بأنفسهم · ولم يمشوا خاليى الوفاض ·

فقال سدريك بعد ان استدار وحضنه :

ـ ولكن كيف لى ان أكافئك يا وامبا يا مسكين ، وانت الذى لم يخش القيود ولا الموت من أجلى ؟ فالكل تخلوا عنى الا المهرج ، ظل وفيا مخلصا ·

وتحجرت دمعة فى عينى سدريك ، فقال وامبا :

ـ ان كنت ستكافئنى بدموع عينيك ، فلابد لى أن

أبكى حفاظا للصحبة ، ولكن المهرج لا يجب أن يبكى ، فوظيفته الضحك · ان كنت حقا تريد مكافأتى ، فأرجوك أن تعفو عن رفيق لعبى جورث ·

فصاح سدريك :

ـ أعفـو عنـه ! بل سأطلق سراحـه · اركـع يا جورث ··· اذهب فأنت حر طليق ··· وأهبك مزرعة من مزارعى لك ولأولادك من بعدك ·

وقفز جورث على قدميه ، فهو لم يعد عبدا بل رجل حر ، وصاحب مزرعة ، فصرخ قائلا :

ـ اقطعوا هذا الطوق النحاسى من عنقى ! سيدى النبيل ! ان قوتى قد تضاعفت بهديتك ، وسأقاتل من أجلك أضعافا مضاعفة ·

ونهض سدريك يودع هؤلاء الرجال ويشكرهم على بطولتهم ونصرتهم للنبل والفضيلة والحق ، وعبـر عن امتنانه الخاص للفارس الأسـود ، ودعـاه الى مصاحبته لقصره فى روثروود ·

فقال الفارس الأسود :

– **سأزورك ، وقريبا ، وربما ساطلب منك هنـاك** هدية أيضا تكون اشارة لكرمك ·

**فقال سدريك معطيا يده للفارس الأسود :**

– هديتك مجابة من الآن ·

**فقـال الفارس :**

– **لا تتسرع فى وعدك ، والى لقاء ·**

وخلع لوكسلى ، عندئذ ، بوقه الجميل من عنقه ، **وقال :**

– **أيها الفارس ، أرجو منك أن تتقبل هذا لذكرى اعمالك البطولية ، واذا حدث وهوجمت فى الغـابة ،** فانفخ **فى هذا البوق ثلاث مرات ، هكذا ···· وستجد** من يهب لمعاونتك !

**فقال الفارس الأسود :**

– اشكرك على هديتك ·

**ونفخ فيه** النفخات الثلاث ، فجلجلت الغابة كلها ·

**فقال لوكسلى :**

ـ اود لو سمعنا أخبارا عن الناسك الشجاع • انه عادة لا يغيب عند تناول الطعام أو تقسيم الغنائم •

ولم ينته من كلامه الا وسمع خبر وصوت الناسك • الذى يصرخ قائلا :

ـ افسحوا المكان يا أهل السعادة • مكان لرجلكم المقدس والأسير الذى انفك أسره • أين الآن أديل لينظم قصيدة عنى ؟

ومن بين ضحكات الجميع ظهر فى جلال ممسكا سيفه الضخم فى يد ، وقائدا بالأخرى اسحق اليهودى •

فقال الزعيم :

ـ والآن ، أيها اليهودى ، فكر جيدا فى الهدية التى ستقدمها لنا مقابل انقاذنا لك بهذه النبالة • ولكن هناك أسير آخر ثرى يجب أن نراه أولا • ها هو الرجل الثرى •

وامتثل صديقنا القديم الراهب ايمر جورفولكس امام عرش زعيم الخارجين على القانون ، مصحوبا باثنين منهم •

وبدا على ملامح الراهب خليط غريب من الكبرياء المجروح والفزع الجسمانى ، وقال :

ــ لماذا الآن ! وما معنى هذا ؟ من أنتم حتى تعاملون رجلا من رجال الكنيسة بهـذه الطريقة . لقد أخذتم رسائلى ، ومزقتم عباءتى الجميلة .. ان أحدا غيرى كان سيلقى اللعنة عليكم .. ولكنى مسالم ، واذا جلبتم لى جوادى ، وأطلقتم صراح أتباعى ، وأعدتم لى رسائلى ، ودفعتم لى مائة قطعة فضية ، ووعدتم بعدم أكل اللحم ثلاثة أشهر ، فقد لا تسمعون عن هذه المغامرة الحمقاء ثانية .

فقال زعيم الخارجين على القانون :

ــ أبانا المقدس ، يؤسفنى أن تلقى مثـــل هـــذه المعاملة من بعض أتباعى التى تسببت فى عدم رضـــاك عنـــا .

فقال الراهب :

ــ معاملة ! ها هو انسان سافل اسمه آلان اديل الذى هدد بضربى ، بل حتى بقتلى ، اذا لم ادفـــع لـــه

أربعمائة قطعة فضية ٠٠ هذا بعد أن سلب منى سلاسل وخواتم ذهبية لا تقدر بثمن ٠ وأقسم أن يشنقنى فوق أعلى شجرة بالغابة !

ـ هل فعل ذلك ، حقا ؟ اذن ، أيها الأب أظن من الافضل لك أن تدفع ما طلبه منك ، لأن ألان اديل رجل يفى بالوعد ٠

**فقال الراهب المندهش فى ضحكة مصطنعة :**

ـ انك تنكت ٠ وأنا أعز النكتة الجيدة جدا جدا ، ومن كل قلبى ٠٠٠ ها ها ها ! ٠٠

**فقال الخارج على القانون :**

ـ ولكنى جاد ٠ عليك أن تدفع لنا مبلغا كبيرا من المال والا لن ترى أصدقاءك ثانية ٠

**فقال الراهب غاضبا :**

ـ حسن ، اذن ، ماذا على أن أدفع ؟ ماذا على أن أدفع مقابل سيرى فى طريق عام بدون خمسين رجل يحمونى ؟

فقال واحد من الخارجين على القانون :

ـ من رأيى أن يذكر الراهب ما يجب ان يدفعه اليهودى ، واليهودى يذكر المبلغ الذى يدفعه الراهب .

فقال الزعيم :

ـ انك لرجل مخبول ، ولكن خطتك ممتازة ! أيها اليهودى ، تقدم الى هنا . انظر الى هذا الراهب أيمـر ، رئيس أغنى ديـر فى جورفولكس ، وأخبرنا كم من المال يدفعه لنا مقابل حريته . انى متأكد انك تعرف ما فى الدير من أموال .

فقال أسحق :

ـ أوه ، نعم ، لقد تعاملت مع الآباء الطيبين ، أحضرت لهم قمحا وفواكه وأخشابا كثيرة . انه دير ثرى جدا .

فقال الزعيم :

ـ كم عليه أن يدفع يا أسحق ؟

فقال أسحق :

– ستمائة قطعة . يستطيع ذلك بكل سهولة .

فقال الزعيم :

– وهو كذلك ، وماذا تقول أنت أيها الراهب أيسر بالنسبة لليهودى ، هل يستطيع أو يدفع مبلغا طيبـا ؟

فاجاب الراهب :

– يستطيع أن يدفع ؟! .. التقـرير يقول أن منزله فى يورك مملوء بالذهب والفضة . لا تاخذ منه أقل من الف قطعة !

فقال اليهودى :

– يا اله آبائنا ساعدنى ! اننى اليوم وحيـــد بدون ابنتى ، وستأخذون كل ثروتى ، أيضا ؟ أوه ربيكا ابنتى من راشيل حبيبتى . لو كانت كل ورقة من أوراق هذه الشجرة من ذهب ، وكلهـــا ملكى ، لقدمتها عن طيب خاطر ، لأعرف أين أنت ان كنت حية وفررت من الأعداء !

**فقال أحد الخارجين على القانون :**

ـ هل ابنتك ذات شعر أسود وتضــع حجابا موشحا بالفضة ؟

**فقال الشيخ مرتعشا من اللهفة :**

ـ نعـــم هى ! هى ! حلت عليك البركة ! هل تعرف شيئا عنها ؟

**فقال الرجل :**

ـ انها هى ، اذن ، التى كان يحملها بوا جلبرت الذى شق بجواره صفوفنا بالامس · وكنت سأرميه بسهم ، ولكنى خفت ان أصيبها بدلا منه ·

**فأجاب اليهودى :**

ـ أوه ! ياليتك رميت حتى ولو اخترق السهم صدرها · فقبر آبائهـــا أفضل من وصمة العـــار ! لقد رحل البهاء من منزلى !

**فقال الزعيم ، متطلعا حوله :**

ـ أيها الأصدقاء ، لقد أثر فى الرجل بأحزانه ٠ أصدقنا القول يا أسحق ٠٠ هل لو دفعت لنا الألف قطعة تصبح مفلسا ؟

فامتقع لون أسحق ، وتلعثم ، ولم يستطع انكار وجود مزيد من المال ٠

فقال الخارج على القانون :

ـ حسن ٠٠ لن ندخل فى التفاصيل ، ولكنك بدون نقود لن تستطيع استرداد ابنتـك من بريـان دى بوا جلبرت ٠ فأسرع وهز كيس نقودك فى آذان بوا جلبرت ، فلقد أخبرنا كشـافونا بأنه موجود فى منزل فرســان الهيكل ٠ أما بالنسبة لنـا فلن نأخذ منك أكثر من الراهب أيمــر ٠٠ أو حتى أقل منـه بمائة قطعة ، التى سأدفعها أنـا لك ٠ وبذلك يتبقى معك خمسمائة قطعة ثمن استرداد ابنتك ٠ ففرسان الهيكل يحبــون بريق الفضة مثلما يحبـون بريق العيون السوداء ٠

فأبدى الخارجون على القانون موافقتهم على رأى

زعيمهم ، الذى ارتمى اسحق عند أقدامه ، **فقال الزعيم متراجعا :**

ـ لا ، اركع لله ، لا لمذنب مسكين مثلى ٠

**فقال الراهب ايمر :**

ـ اذا صادقتنى ، شملتك وابنتكم ربيكا بمساعدتى ٠ انى حزين عليها ، فهى جميلة ولها وجه مريح ٠ لقد رأيتها فى المهرجان بآشبى ٠ وفى امكانى التصرف مع بواجلبرت ٠

**وأخذ لوكسلى أسحق على جنب وقال له :**

ـ نصيحتى يا أسحق ان تتخذ من الراهب صديقا ٠ اننى مستعد أن أساعدك لأننا صديقان قديمان ألا تذكر الرجل الجريح الذى أنقذته ابنتك الحبيبة ربيكا من الأسر فى يورك ، واحتفظت به فى منزلك الى ان استرد صحته ، ثم صرفته بقطعة من النقود ؟

**فقال اسحق :**

– أهو انت ؟ كان اسمك ويكون رامى القوس ، أليس كذلك ؟ ان صوتك ليس غريبا عنى ؟

**فقال الزعيم :**

– نعم أنا رامى القوس ، ولوكسلى ، ولى اسم طيب السمعة بجانب كل هذه الأسماء . انى حزين على ابنتك . ولكنى لا أستطيع مســاعدتك . فان حراب فرسان الهيكل قوية على رجالى النبالين ، انهم ينثرونا مثــل حفنة تراب . لو كنت أعرف أنهــا ربيكا عند اختطافها ، لاختلف الوضع ، ولكن القوة الآن لا تفعل شيئا . تعال ، هل أكلم لك الراهب ؟

– وحق الله ياديكون ، مســاعدنى لاســترداد طفلتى ، حبة قلبى !

**فقال الزعيم :**

– أيهــا الراهب أيمر ، تعال معى تحت هذه الشجرة . لقد سمعت أنك تحب الطعام الجيد والنبيذ المعتق . وسمعت أنك تحب الكلاب الأصيلة والجياد السريعة وأشياء أخرى تكلف كثيرا . ولكنى لم أسمع

أبدا انك تحب الفعل السيء أو القسوة · هل تكتب رسالة لفارس الهيكل لمساعدة اسحق فى استرداد ابنته ؟

**فقال ايمر :**

ـ حسن ، ان كان ولابد ؛ فآتنى بقلم · ولكن أين أجد قلما ؟

**فقال الخارج على القانون :**

ـ أستطيع أن أجد لك قلما !

وصوب قوسه نحو طائر كبير كان يطير فوق رؤوسهم · وسقط الطائر بسهمه المغروس فيه ·

**فقال الزعيم :**

ـ اليك ، أيها الراهب ، بالريش الذى تصنع منه أقلاما تكفى كل رهبان جورفولكس لمدة قرن من الزمان ·

فجلس الراهب ودون ببطء رسالة الى

بواجلبرت • وختمها بعناية ، **وسلمها لليهــودي ، وهو يقول :**

ـ هذه ستدخلك منزل فرســـان الهيكل فى تمبلستو بسلام ، واعتقد أنها ستحقق لك اســتلام ابنتك اذا أضفت لها مبلغا طيبا من المال ، لأن الفارس الطيب بوا جلبرت لا يفعل شيئا مقابل لا شىء •

واستمع الفارس الأســـود لكل هذا صامتــا لا ينبس ببنت شفة ، وودع كل الخارجين على القانون فردا فردا ، وأفصح معبرا عن اندهاشه لمشاهدة كثير من العدالة البسيطة بين أشـــخاص خرجوا عن حماية القانون ونفوذه •

**فقال الزعيم :**

ـ ان الشـــجرة الرديئة قد تحمــل أحيــانا ثمرا شهيا • فالظلم والاستبداد وسوء المعاملة ، قد حملت هؤلاء الناس على أن يعيشوا بهذه الطريقـــة • ولكل منا سره الخفى ! ياسيدى الفارس •

**فقال الفارس الأسود :**

ـ قد نتقابل في يوم قريب ويكشف كل منا للآخر عن حقيقته · أما الآن ، فنحن نفترق كأصدقاء ، أليس كذلك ؟

فقال لوكسلى :

ـ هذه يدى على ذلك ، يد رجل انجليزى صادق · بالرغم من أنه خارج عن القانون حاليا ·

فقال الفارس :

ـ وهذه يدى أقدمها لك ، والتى تشرفت بمصافحتك · لأن الذى يعمل صالحا وهو قادر على عمل الشر ، يستحق ثناء مضاعفا ·· ثناء على الخير الذى عمله ، والشر الذى لم يعمله · وداعا أيها الخارج على القانون الشجاع !

وامتطى جواده الحربى القوى ، وركض عبر الغابة ··

★★★

الفصل السادس والعشرون

## اعداد جريمه قتل

أقام الأمير جون وليمة عظيمة فى قلعة يورك ، دعاء فيها من علية القوم من توسم فيهم أن يســاعدوه على الاستيلاء على عرش أخيه ريتشارد ·

ولقد شاع فى أنحاء مدينة يورك ، فى صباح اليوم التالى لسقوط قلعة توركويل بعض الأنباء المتضاربة عن أسر أو ذبح دى بارسى وبوا جلبرت وفرونت دى بواف· ونقل والدمار هذا الأمر للأمير جون ، واذا بدى بارسى يدخل بعدها بقليل ، **ويقول :**

ـ بوا جلبرت لاذ بالفرار ! أما فرونت دى بواف فقد دفن فى قبر أحمر وسط أنقاض قلعته المتأججة

بالنيران ، وأسوأ خبر لم أقله بعد ، ألا وهو أن ريتشارد في انجلترا • لقد رأيته وتحدثت معه • وهو الآن يسير في الغابة بمفرده •

فتطلع الأمير جون لوالدمار ، وقال بوجه ممتقع :

ـ لا يوجد الا طريق واحد للأمان ، القبض عليه واعتقاله •

فقال والدمار :

ـ من رأيي أن أفضل معتقل هو القبر • استدع هيوج باردون وليحضر معه اثنين ممن يعرفون الغابة جيدا ويفهمون في اقتفاء الأثر • وسأذهب معهم •

فقال الأمير :

ـ من تريد من الأتباع ؟

ـ ثورسبي ، وستيفان ••• الملقب بالقلب الفولاذى لقسوته ••• وثلاثة رجال يطلقون عليهم رماح التجسس •

فقال الأمير :

ـ لك هذا !

★★★

الفصل السابع والعشرون

## الزعيم الدينى لفرسان الهيكل

تعود حكايتنا الآن الى اسحق يورك ، راكب الجواد الذى أهداه له لوكسلى ، مع اثنين طوال القـامة من الخارجين على القـانون يعملان على حراسـته وارشاده متجها الى منزل فرسان الهيكل فى تمبلستو ٠

كان المنزل مشـيدا بين مراع وحقول جميلـة وكأنه حصن منيع : فهناك رجال مدرعة فى ستر واقية سوداء ، تحرس الجسر المعلق ، وآخرون فى مسـوح سوداء أيضا ، يسيرون جيئة وذهابا حول الأسوار فى خطوة جنائزية ٠

وكان الزعيم الكبير لفرسان الهيكل يسير كذلك ،

فى حديقة صغيرة داخل الأسوار ، يجرى محادثة حزينة وسرية مع أخ فى الرهبنـة الذى عاد هو وفرقته من فلسطين .

كان الزعيم الكبير طاعنـا فى السن وذا لحيـة شيباء طويلة ، وحاجبين أشيبين نافرين فوق عينيه ، لا تستطيع السنين أن تخفت نارها . ويعكس وجهه ملمح صرامة الجنـدى وفى نفس الوقت كبرياء المتدين لرجل شديد القناعة بقداسته .

. أما رفيقه الذى يعمل على ادارة شئونه الشخصية ، كوكيل لأعماله ، فقد كان يرتدى عباءة بيضاء موشى عليها صـليب أحمر مثل عبـاءة الزعيم الكبير ، ولكن تواضعه الشديد تجاه رئيسه يدل على الفارق الكبير فى المنزلة .

وقال الزعيم الكبير :

– عزيزى كونراد ، يا رفيق معاركى وكفاحى ، الذى لا أبوح بأحزانى الا لصدره المخلص الحنون . انى أفضل أن أقاسى من آلاف الأعداء فى ساحة الوغى ، عن أن أشهد انهيار طريقنا المقدس !

فاجاب كونراد :

ـ هذا صحيح فسلوك الاخوة فى انجلترا أسوأ من الاخوة فى فرنسا · لقد نسوا انهم رهبان نذروا أنفسهم للفقر والزهد والتقشف ·

فقال الزعيم الدينى :

ـ لأنهم ازدادوا ثراء ··· ماذا تقول قواعد الرهبنة عندنا ، والى أى مدى يحافظ الاخوة الرهبان عليها ؟ القواعد تقول أنهم لا يجب أن يتحلوا بالزينة الدنيوية الزائلة ، مع هذا ، فمنهم من يستعرض مظهره بكل هذا التباهى والابتهاج مثل جنود المعبد ؟ وهم ممنوعون من الصيد ، ومع هذا ، من هو مجهز ومستعد مثل فرسان الهيكل فى رياضاتهم الحمقاء والعقيمة ؟ ويجب أن يكون شرابهم ماء قراحا ، والآن شعار أن « تسكر مثل فارس الهيكل » يتبجح به كل ثمل لنديمه · وهم مأمورون أن يستأصلوا السحر والعقائد الدنيئة الزائفة من جذورها ، وهم يتدارسون السحر السرى لليهود · سوف أطهر هذا الهيكل ، وأما الأحجار المتسخة فسأزيلها ·

وفى أثناء هذا الحديث قدم الى الحديقة خادم ٠ وانحنى باحترام شديد للزعيم الكبير ، ثم وقف ينظر السماح له قبل أن يجرؤ على الكلام ، **فقال الزعيم الكبير :**

ـ تكلم ، يا دميان ٠

**فقال دميان :**

ـ ان بالباب رجلا يهوديا ، يا قداسة الأب النبيل٠ انه يرغب فى مقابلة بريان دى بوا جلبرت ٠

**فقال الزعيم الكبير :**

ـ أصبت فى أن تخبرنى بهذا ٠ ان الراهب لا يجب أن يمشى حسب ارادته ، ولكن حسب ارادة الزعيم ٠ ومن المهم أن نعرف عن قضايا بوا جلبرت هذا٠

**فقال كونراد :**

ـ مشهود له أنه شجاع ٠

**فقال الزعيم الكبير :**

ـ حقا ، يقال عنه هذا ، ولكن الأخ بريان كان

كثير اللغط ، لقد أثار المشاكل ، لقد كان قائدا لهؤلاء الذين عصوا سلطتى ٠

**واستمر قائلا :**

ـ دميان ، أدخل اليهودى ٠

وبعد قليل عاد دميـان ومعه اسحق اليهـودى ، **فقال الزعيم :**

ـ دميان ، انصرف ، ولا تســمح لأحد بدخول الحديقة حتى أتركها ٠

فانحنى الخادم وانصرف ٠ **واستمر الرجل العجوز المعجب بنفسه قائلا :**

ـ أيها اليهودى ، استمع الى ٠ انى لا أضيع الوقت أو الكلمات على أى شخص ٠ ولذلك ، كن مقلا مدلا فى اجاباتك عن أسئلتى ٠ وحذار من الكذب والا انتزعت لسانك من فمك !

وأوشك اليهودى على الاجابة ٠ **ولكن الزعيم الكبير استمر قائلا :**

– سكوت ! ولا كلمة فى حضورى الا للاجابة على أسئلتى · ما علاقتك ببريان دى بوا جلبرت ؟

فارتاع اسحق وارتاب من هذا الاستقبال وسكت ولم يجب · فاذا روى حكايته ، فقد يكون كلامه مسيئا للنظـام المقدس لفرسـان الهيكل ، ومع ذلك ، اذا لم يتكلم ، فلا أمل فى استرداد ابنته · فرأى الزعيم الكبير

مخاوفه ، فحاول تهدئته قائلا :

– لا تخف شيئا اذا كنت صادقا · وأطلب ثانية معرفة علاقتك ببريان دى بوا جلبرت ·

فتلعثم اليهودى قائلا :

– انى حامل رسالة ، يا صاحب القداسة ، الى هذا الفارس الطيب من الراهب أيمر ·

– اعطنى الرسالة !

فاخذ اسحق الرسالة من قلنسوته بيد مرتعشة ، وناولها لكونراد الذى أعطاها للزعيم الكبير ·

فقال كونراد :

ـ هل ستفض الرسالة يا مولاى ؟

**فقال الزعيم عابسا :**

ـ ولم لا ! أليس مسجلا فى القانون رقم ٤٢ أنه لا يحق لراهب الهيكل أن يستلم رسالة ، حتى من أبيه ، بدون أن يطلع الزعيم الكبير عليها ؟

وقرأ الرسالة بسرعة فى اندهاش واشمئزاز . ثم أعاد قراءتها ببطء أكثر . ثم ناولهـــا لكونراد بيد ، وضاربا عليها باليد الأخرى ، **قائلا :**

ـ ها هى كلمات جميلة لرجل مسيحى يكتبهـــا لآخر .

فأخذ كونراد الرسالة ، **وقال له الزعيم :**

ـ اقرأها بصوت عال .

**وقال موجها كلامه لاسحق :**

ـ واستمع انت اليها ، لأننا سنسألك بخصوصها .

وقرأ كونراد الرسالة ، التى كانت **كالآتى :**

**من :** الراهب ايمر معبد جورفولكس .

**الى : سير بريان دى بوا جلبرت ٠**

**فارس من رهبان الهيكل ٠**

انى حاليا أسير قوم لا قانون لهم ، ومنهم علمت بنكبة صديقنا فرونت دى بواف ، وعلمت أنك هربت مع الساحرة اليهودية الجميلة ، التى ألقت بسحر عينيها السوداوين عليك ! يسرنى أن أعرف أنك فى أمان ، ولكننى أحذرك من هذه الساحرة ٠ فقد علمت أن زعيمكم الجديد الذى لا يهتم بالخدود الحمراء أو العيون السوداء قادم من فرنسا لكى يحرمكم من مباهج الحياة ، ويعدل من سوء تصرفكم ٠ فكن على حذر ٠ ان والد اليهودية الحسناء ، وهو ثرى من يورك ، قد طلب منى أن أوصيك به خيرا فكتبت له هذه الرسالة ، ونصيحتى اليك أن تطلق سراحها ، طالما أنه سيدفع لك أكثر مما تريد ٠

وحتى نلتقى فى جلسة حظ مقبلة أودعك خير وداع ٠

**ايمر**



وقال : ها هى كلمات جميلة !

ـ ماذا تقول عن هذا يا كونراد ؟ وماذا يقصد بهذه الساحرة التى تلقى بسحرها عليك ؟

فشرح كونراد الكلمات بمعنى أنه يقصد أن الفتاة جميلة جدا ·

ـ يا كونراد ، هناك معنى آخر · أن ربيكا يورك هذه ساحرة حقا ، وتمارس السحر ·

ثم التفت الى اسحق وقال بصوت عال :

ـ هل ابنتك أسيرة بوا جلبرت ؟

ـ نعم يا سـيدى ، وأى مبلـغ مطلوب لاطلاق سراحها ···

فقاطعه الرئيس قائلا :

ـ سكوت ! ان ابنتك تمارس فن شفاء الأمراض ، أليس كذلك ؟

ـ نعم يا سيدى الجليل · فكم من فارس وجندى قد شفته بفنها ، بينما فشلت الوسائل الأخرى ·

فالتفت الزعيم الى كونراد ، وقال :

ـ ارأيت أيها الراهب ٠

ثم قال لاسحق :

ـ آه أيها اليهودى المخادع ! كيف تتجاسر ابنتك وتقوم بسحر جنود المعبد ؟ دميان ! القى بهذا اليهودى خارج البوابة ٠ وأرده قتيلا لو عاد ثانية ٠ أما بالنسبة لابنته فسنتعامل معها حسب القانون ٠

لا داعى أن نصف بالتفصيل محاكمة ربيكا أمام الزعيم الكبير ٠٠ انها مهزلة للعدالة ٠ وصدر الحكم عليها بالحرق ٠ وبقى أمل واحد لها ٠ ففى تلك الأيام ، كان يسمح للأسير فى بعض الحالات أن يحاكم عن طريق معركة ٠ ومعنى ذلك أن يتقاتل فارسان واحد يدافع عن انها مذنبة ، والآخر عن أنها بريئة ٠ ويتقرر مصير الأسير حسب نتيجة المعركة ٠

قالت ربيكا :

ـ توجد ، مع هذا ، فرصة وحيدة للحياة أمامى ، حتى عن طريق قوانينكم الرديئة ٠ لقد غدت الحيـاة بائسة ٠ ولكنى لن أفرط فى هبة الله ، وعندى وسيلة

دفاع عنها . وأنكر هذه التهمة وأصر على براءتى . وأطالب بحقى فى أن أحاكم عن طريق معركة .

**فقال الزعيم الكبير :**

- ومن الفارس يا ربيكا ، الذى سيقاتل من أجلك .

**فقال ربيكا :**

- سيبعث الله بفارس ليقاتل من أجلى .

**فقال الزعيم الكبير ، بعد فترة صمت :**

- اذن ، نعين بوا جلبرت للقتال من أجل تحقيق العدل ، ولاثبات أن هذه الفتاة مذنبة حقا ، وسأعطى ربيكا مهلة ثلاثة أيام لتجد فارسا ليحارب من أجل براءتها .

واختلس الزعيم الكبير ابتسامة على مهارته ، ولم يجرؤ بوا جلبرت أن يرفض بالرغم من كراهيته للمهمة .

**وقالت ربيكا :**

ـ هل يوجد أحد هنا يتطوع بحمل رسالة لى ؟
**وسكت الجميع الا واحدا أجابها اخيرا :**

ـ ليس لى الا ساق واحدة ، ووجود هذه الساق يعود الى رحمة اليهودية ومهارتها فى المعالجة • سأحمل رسالتك !

ومن حسن الحظ انه لم يحتج الى الذهاب بعيدا ، فاسحق كان منتظرا عند البوابة • وقرأ رسالتها •

والدى ••• سأموت ، لاتهامى بالسحر والشعوذة• ولكن اذا وجد حارس ليقاتل من أجل قضيتى فى خلال ثلاثة أيام من الآن ، فقد أنجو • وأعتقد أن الفـارس ايفانهو يقبل أن يقاتل من أجلى ، هذا اذا كانت صحته تسمح له بحمل وزن درعه • وأخبره أن ربيكا سواء عاشت أم ماتت فهى بريئة من التهمة التى ألصقوهـا بهـا •

★★★

الفصل الثامن والعشرون

# ريتشارد ملك انجلترا

عندما غادر الفارس الأسود السنديانة العظيمة ، توجه الى دير القديس بوتولف ، الذى كان جورث وومبا قد نقلا اليه ايفانهو .

وقال لايفانهو :

ــ سوف نلتقى فى مكان التعزية التى يعقدها والدك على اثلستين . وساحاول اصلاح الخلاف الذى بينك وبين أبيك . وارتاح أنت هنا اليوم . وسيدلنى وامبا على الطريق فى دروب الغابة . وداعا ، يا ولفريد ، ولا تسافر قبل الغد .

وشيعهما ايفانهو بأنظاره حتى تواريا فى ظلال

الأشجار ، ثم عاد الى الدير · وبعد قليل نادى طالبا جوده ، وانطلق وبجانبه جورث ، يقتفى أثر الفارس الأسود وقال :

ـ لقد أحسست بأني استرددت صحتي ، عندما شعرت بأن أستاذى فى خطر ·

وكان الفارس الأسود ووامبا يتوغلان فى الغابة ·

فقال وامبا :

ـ أتوسل اليك أن تدعني أرى البوق الذى أعطاه لك لوكسلى ·

فأعطاه الفارس لوامبا ، الذى علقه على الفور حول عنقه ، وقال :

ـ اذا لم أكن مخطئا ، فمن الأفضل أن تستعد ، فهناك بعض الأشخاص بين تلك الأشجار يتعقبونا ·

فقال الفارس :

ـ ما الذى جعلك تظن ذلك ؟

ـ لقد لاحظت بريق الفولاذ بين الأوراق الخضراء

أكثر من مرة . واذا كانوا أشرافا لساروا فى الدرب مثلنا .

**فقال الفارس ، وهو يغلق مقدمة خوذته .**

ـ اعتقد أنك على حق .

ولقد أغلقها فى الوقت المناسب ، لأن ثلاثة أسهم طارت من بين الشجيرات وضرب واحد منهم مقدمة الخوذة ، **فقال الفارس :**

ـ شكرا يا وامبا . هيا بنا نهاجمهم .

واندفع مباشرة نحو الشجيرات . فالتقى بحوالى سبعة رجال مدرعين فهجموا عليه برماحهم ، **فارتطمت** ثلاثة به ، وتحطمت دون أثر يذكر وكأنها صدمت برجا من الفولاذ . وبدت عينا الفارس الأسود تشعان لهيبا . **وصرخ قائلا :**

ـ ما معنى هذا يا سادة ؟

فانقض الفرسان بسيوفهم عليه من كل جانب **وصرخ واحد منهم قائلا :**

ـ فلتمت أيها الأمير المزيف !

فقال الفارس الأسود ضاربا رجلا عند كل كلمة يتفوهها :

ـ ها ! أيها القديس جورج ! ألدينا خيانة هنا ؟

فتراجع أعداؤه تهيبا لذراعه التى تحمل الموت فى كل ضربة تهوى بها · واندفع فارس فى درع أزرق كان مختبئا وراء الآخرين ، وصوب رمحه ، لا على الراكب ، ولكن على الجواد ، فأصاب الحيوان النبيل · وصرخ الفارس الأسود وهو يسقط مع جواده على الأرض ، قائلا :

ـ هذه ضربة قذرة !

وفى هذه اللحظة ، أمسك وامبا بالبوق ونفخ فيه · فتسبب الصوت المفاجىء فى تراجعهم مرة أخرى · واندفع وامبا لمساعدة الفارس الأسود ، بالرغم من أنه لا يحمل الا سيفه · وصرخ الفارس ذو الدرع الأزرق قائلا :

ـ يا للعار ، أيها الجبناء المزيفون ! هل تهربون من صوت بوق ينفخه مهرج ؟

فأثارتهم كلماته ، وهجموا على الفـارس الأسود مرة أخرى ، فأسند ظهره الى احـدى الأشجار وأخـذ يدافع عن نفسه بسيفه • فأخذ الفارس الأزرق حربة أخرى وهجم عليه آملا أن يثبته فى الشجرة •.ولكن وامبا ، المنتظر بجانبهما غرز سيفه فى جواد الفارس الأزرق • فسقط الجواد مع الرجل على الأرض • ولكن الفارس الأســود كان لا يزال فى خطر عظيم بسبب ضغط عديد من الرجال بشدة عليه ، وبدأت تظهر عليه علامات الارهاق ، عندما أصاب فجأة سهم أخطر خصم له وأطاحه أرضا • وامتلأ بعد ذلك المكان بعدد من الخارجين على القانون الذين هبطوا من الأشجار ، وعلى رأسهم لوكسلى والناسك المرح العملاق تك ، الذى كان ثملا فى أغلب الأحوال • وفى الحال لقى جميع أعداء الفارس الأسود مصيرهم السىء ، اما موتى أو مثخنين بالجراح •

وتقدم الفارس الأسود وشكر منقذيه بجلالة ملكيه لم يلاحظوها من قبل • فحتى ذلك اليوم كانت تصرفاته تصرفات جندى فظ جســور ، لا تدل على شخص من مرتبة نبيلة ، ثم قال :

ـ افتح خوذة الفارس الأزرق يا وامبا • يبدو أنه قائدهم •

وقام وامبا بذلك ، فصرخ الفارس الأسود :

ـ والدمار فتزورس ! أصدقنى القول ، من الذى حرضك على هذه الفعلة الحمقاء ؟

فاجاب والدمار :

ـ انه ابن أبيك ، الأمير جون •

ـ انك لن تطالب بحياتك •

ـ ان الذى يقع فى فكى الأسـد يعرف أن هـذا لا يجدى •

ـ اذن ، فحياتك لك دون أن تطلبها ، فالأسد لا يهاجم الحيوان الجريح • ولكن عليك أن تغادر انجلترا خلال ثلاثة أيام • لوكسلى اعط الفارس جوادا •

فتمتم لوكسلى :

ـ قد أنقذ هذا الشخص من وعثاء السفر ، ومشقة رحلة طويلة لو رميته بأحد سهامى • ولكن حدسى يقول لى انى أنصت لصوت أوامره يجب أن تطاع •

**فقال الفارس الأسود :**

ـ انك لرجل مخلص وذكى يا لوكسلى ، وحدسك فى محله فى انـك ملتزم باطـاعة أوامرى ... فأنـا ريتشارد ، ملك انجلترا !!

فركع لوكسلى وجميع الحاضرين أمامه ، وطلبوا العفو عن أخطائهم .

**فقال ريتشارد فى نبرة جليلة :**

ـ انهضوا يا أصدقائى ، ان الخدمات المخلصة التى أسديتموها لرعاياى المظلومين فى القلعـة والتى قدمتموها لى اليوم ، تمحو كل خطأ . أما أنت أيهـا الشجاع لوكسلى .

**فقال لوكسلى :**

ـ مولاى ، لاداعى أن تنادينى بهذا الاسم ، بل باسم قد يكون وصلك من قبل ، فما أنا الا **روبن هود** صاحب حكايات غابة شيروود .

وظهر فى المشهد اثنـان آخران .. ايفانهو وجورث .

فقال الملك :

ـ لا تخاف الآن ياولفريد ، أن تناديني باسمي. لقد قوبلنا بخيانة هنا ، ولكن الشكر لهؤلاء الرجال الشجعان في القضاء عليها . ولكنى أعتقد بأنك غير مطيع .. ألم أقل لك أن ترتاح اليوم في الدير حتى يلتئم جرحك ؟

فأجاب ايفانهو :

ـ لقد التأمت كل جراحي ، ولكن أيها الملك النبيل ، لماذا تعرض حياتك للأخطار بسفرك بلا حراسة ، ومملكتك مهددة بحرب أهلية ؟

ـ اذا أفصحت عن شخصيتي بسرعة ، فستكون الأخطار أسوأ بكثير . لابد أن أعطى الوقت لأصدقائي البررة ليجمعوا رجالهم . ولكن هيا بنا يا سادة نتابع طريقنا والسعادة تملأ قلوبنا .

وعندما اقترب ريتشارد قلب الأسد وأصدقاؤه لقلعة كوننجزبرج ، وجدوا أنفسهم أمام مشهد كثير الحركة .

كانت وليمة العزاء معقودة فى الساحة · وكان سدريك جالسا مع أصدقائه داخـــل القلعة · فنهض عندما دخل الفارس الأسود وصافحه قائلا :

ــ لقد جئت لأذكرك أيهـــا اللورد النبيـــل ، بوعدك فى تحقيق طلب لى ·

فأجاب سدريك :

ــ انه مجاب أيها الفارس النبيل ·

ــ لقد عرفتنى حتى اليـــوم ، باســـم الفارس الأسود ، ولكن أعرف أن محدثك هو ريتشـــارد ملك انجلترا ، الذى رغبته الأصيلة أن يرى أبنـــاء انجلترا ساكسونيين ونوماندين متحدين ·

ــ أحسنت القول يامولاى ·

ــ والآن اليك بطلبى · أن تعفـــو عن ابنـــك ولفريد ايفانهو وتمنحه بركتك الأبوية !

وصرخ ايفانهو ، ملقيا نفسه عند أقدام سدريك:

ــ أبى ! امنحنى عفوك ·

فقال سدريك ، وهو يوقفه على قدميه :

ـ لك عفوى يابنى · فانى أعرف كيف أحفظ وعدى ·· نريد أن تتكلم ، وأنا أعرف الموضـــوع · يجب على ليـــدى روينـا أن تنهى فترة الحـداد على اثلستين ، الذى كان زوجها الموعود ، ولكن بعد ذلك ·

ودخل خادم يسأل عن ايفانهو ، قائلا أن رجلا يسأل عنه عند البـوابة فى مسألة حيـاة أو موت · وبعد أن استلم ايفانهو الرســالة ، نادى على جورث وأخذ درعه وغادر القلعة مسرعا ·

★★★

## الفصل التاسع والعشرون

# قضاء الله

يعود مشهدنا ثانية الى حصن فرسان الهيكل. ومسالة حياة او موت ربيكا على وشك أن تحسم . واجتمع جمهور كبير أمام البوابة . واقيمت فى الجهة الأخرى محرقة ، وهى عبارة عن كومة من الكتل الخشبية ، حول عامود مثبت فى الأرض ، وبه سلسلة لتقييد المخلوقة البائسة التى ستحرق .

ودق جرس كنيسة الدير ، وانفتحت البوابة ، وجاء فارس يحمل راية ووراءه مجموعة من فرسان الهيكل . ثم جاء الزعيم الكبير ، وخلفه بواجلبرت فى كامل تسليحه . ودخل الموكب الميدان بتمهل .

وقيدت ربيكا الى كرسى اسود موضوع بالقرب من كومة الخشب ، وعندما ألقت ببصرها على البقعـة المخيفة ، ارتعشـــت وأغلقت عينيها ٠٠ ثم حملقت بثبات عليها ، وكأنها تريد أن تعود ذهنها عليهـا ، ثم تطلعت نحو السماء ٠

واتخذ الزعيم الكبير مقعدا له ، وجلس الآخرون خلفه فى نظام ، حسب رتبهم ٠

**وقال الأب المقدس :**

ـ الفارس بواجلبرت سيقاتل اليوم تأكيدا على أن الفتاة اليهودية التى تدعى ربيكا تستحق الحكم الصادر عليها بأنها يجب أن تموت كساحرة مشعوذة ٠

ونفخت الأبواق ، وبعدها خيم صمت شـامل استمر بضـع دقائق ، **ثم اعلن الزعيم الكبير قائلا :**

ـ لم يتقــدم أى فارس للدفاع عن المتهمة ، فاذهب أيها الحاجب واسألها هل تنتظر أحـــدا يقاتل للدفاع عنها ؟

وحملت الرسالة ، **واجابت ريكا قائلة :**

ـ **قل للزعيم الكبير انـنى أؤكد على براءتى ، وأطالب بالمهله التى يسمح بها قانونه · وسوف يبعث الله لى منقذا ، والا فلتكن مشيئة الله ·**

فرفع الحاجب جواب **الفتـــاة للزعيم الكبير ، الذى قال :**

ـ سننتظر حتى تصل الشمس **جهة الغـــرب** وتتحول الظلال جهـــة الشرق · والا فعليهـــا أن تستعد للموت ·

وجلس الزعيم الكبير منتظرا لمدة ســـاعتين · وساد الاعتقاد العام بعدم ظهور أحد من أجلها ·

واخيرا ظهر فارس يحث جواده مسرعا ، وتقدم نحو الميدان ·

**فصرخ الجمهور :**

ـ لقد وصل ! لقد وصل !

ولكن الفارس بدا عليه الارهاق الشديد ، بسبب

سفره المتواصل لعدة أميال حتى يلحق المحاكمة ·
**ووقف بجواده أمام الزعيم الكبير ، وقال :**

ـ اننى فارس ونبيل ، ولقد جئت لادافع عن براءة ربيكا ابنة اسحق ، ولأتحدى بريان دى بوا جلبرت ·

**فقال الزعيم الكبير :**

ـ يجب على الغريب أولا أن يذكر اسمه ·

**فقال الفارس رافعا خوذته :**

ـ اسمى ولفريد ايفانهو ·

**فقال بوا جلبرت :**

ـ لن أنازلك حتى تشفى جراحك ، وتحصل على جواد أفضل ، وعندئذ سأفكر هل تستحق أن أضيع عليك وقتى ·

**فقال ايفانهو :**

ـ هل ! أيها الفارس المغرور · تذكر تباهيك

في قلعة روزروود بأنك ستقاتل ايفانهو وستعيد الشرف الذى قد فقدته ، وأن لم ينازلني ويفي بوعده لأذيعن في أرجاء أوربا كلها أنه جبان ؟

فصرخ بوا جلبرت :

ـ أيها الكلب السكسوني سأنازلك ، فامسك رمحك واستعد للموت ٠

فقال ايفانهو مقتربا من المحرقة :

ـ ربيكا ، هل تقبلينى للقتال من أجلك ؟

فقالت :

ـ أقبل ٠٠ ولكن لا ! فجراحك لم تندمل بعد٠ ولماذا تهلك أنت أيضا ؟

ولكن ايفانهو كان قد احتل مكانه في الميدان ، واغلق خوذته وأشرع رمحه ٠ وحذا بواجلبرت حذوه ، ولاحظ خادمه عندما كان سيده يغلق خوذته ان وجهه المتقع بصفرة الأموات منذ الصباح ، قد استحال الى الحمرة ، وكان الدم قد تجمع في وجهه ٠

وأعطيت الاشارة ايذانا ببدء القتال ، رهجم كل منهما على الآخر • ولم يتحمل ايفـــانهو ولا جواده قوة الهجمة الأولى ، فقد كانت جراحه وشـــيكة عهـــد بالالتئام ، أما جواده فقد أرهقته الرحلة الطويلة التى قطعها بدون راحة ، فعثر به جواده أمام فارس المعبد وكاد يقـع • وكان الجميع يتوقعون هذه النتيجـة • ولكن الغريب أن رمح ايفانهو لمس بواجلبرت لمســـة خفيفة ، ولدهشة الجميـــع ، ســقط بوا جلبرت عن جواده •

وبسرعة تحـــرر ايفانهو من جواده المنبطح على الأرض ووقف ناهضا على قدميه وامتشق حسامه ، ولكن خصمه لم ينهض • فوضـــع ولفريد قدمه على صـــدر فارس الهيكل ، وسدد حســـامه الى عنقه ، وأمره أن يستسلم أو يموت •

**وصاح الزعيم الكبير قائلا :**

ـ لا تقتله أيهـــا الفارس •• سنعلن على الملأ أنه مغلوب •

ونزل الى الميدان وأمرهم بنزع خوذة المغلوب ٠ فكانت عيناه مغلقتين ، ووجهه احمر محتقنا ، وعنـــدما تطلعوا عليه فى اندهاش انفتحت عينـــاه ، ولكنهما تجمدتا على وضعهما ، وانسحبت الحمرة من وجهه ، وحلت محلها صفرة الموت ٠ وفارق الحيـــاة ، لا من رمح عدوه ، بل من شدة غضبه وهياجه ٠

**وقال الزعيم الدينى :**

ـ حقا ، انه قضاء الله !!

★★★

## الفصل الثلاثون

# فى فم الأسد

عنــــدما انقشعت لحظات الاندهاش الأولى عن ولفريد ايفانهو ، طلبـــوا من الزعيم الكبير أن يعلن حكمه ·

**قال الزعيم الكبير :**

ـ أعلن اطلاق سراح الفتاة ، وانها غير مذنبة · وان جثمان المغلوب وأسلحته من حق الغالب ·

**فقال ايفانهو :**

ـ لن آخذ أسلحته ·· هذا ويـد الله هى التى ضربتـه لايدى ·· أما جثمانه فســـيدفن كما يدفن

الرجال الصناديد ، حيث أنه مات فى نزال غير عادل ٠ أما بالنسبة للفتاة ٠٠

وحال دون اتمام عبارته قدوم أعداد غفيرة من الفرسان هزت الأرض هزا ، وكان على رأسهم الفارس الأسود ٠ ووصل الى وسط الميدان ومن ورائه كوكبة من الفرسان فى دروعهم الكاملة ، **وقال وهو يتطلع حوله :**

ـ لقد تأخرت فى الوصول ، وكنت أود أن أتعامل مع بواجلبرت بنفسى ٠ وانت يا ايفانهـــو ، أمن الحكمة أن تقوم بهذه المغامرة وأنت بالكاد تستطيع أن تجلس على صهوة جوادك ؟

**فأجابه ايفانهو :**

ـ لقد تعاملت السماء مع هذا المتغطرس ٠

**فتطلع ريتشارد الى الجثمان وقال :**

ـ سلام الله عليه ٠٠ هذا ما قدر له ٠ ولـــكن لايجب أن نضيع وقتنا ٠ بوهان ، نفذ واجبك ٠

فتقدم فارس ووضــع يده على كتف مالفويزون وكيل الدير ، وقال :

ـ ألقى القبض عليك ٠٠

فصرخ الزعيم الكبير :

ـ من هذا الجرىء الذى يجسر أن يعتقل فارسا من فرسان الهيكل فى حرم ديره ، وفى حضرة الزعيم الكبير ؟ بأى سلطة يمكنك عمل ذلك ؟

فقال الملك رافعا صوته :

ـ بأمر ريتشارد ملك انجلترا ٠

فقال الزعيم الكبير :

ـ سوف أقاوم !

فقال الملك :

ـ أيهــا الراهب المتكبر لاتستطيع ٠ انظـر وشـاهد العلم الملكى لانجلترا يرفـرف فوق أبراجك بدلا من علم معبدك ٠ كن حكيما ولا داعى لمعارضة لا جدوى منها ٠ ان يدك فى فم الأسد ٠

وكانت ربيكا فى أحضان أبيها العجوز غائبة عن الوعى أو تكاد ، ولكن كلمة واحدة من اسحق نبهتها ، عندما قال :

ـ هيا بنا يا ابنتى العزيزة ، ياكنزى المستعاد ‥ فلنذهب لنلقى أنفسنا عند أقدام ايفانهو لنشكره على صنيعه ٠

فقالت ربيكا :

ـ ليس هكذا ، أوه ، لا ٠ لا ٠ يجب أن أقول أكثر من ‥ لا ، يا والدى ، هيا بنا نترك هذا المكان البغيض فورا ٠

فقال اسحق :

ـ ولكن يا ابنتى ، لا يمـــكن أن نتـــرك هذا الشاب هكذا ، وهو الذى جاء والرمح والدرع فى يده لانقاذك من محنتك !

فقالت ربيكا :

ـ انه ‥ انه ‥ سوف نشكره بكل امتنان

·· ولكني ليس الآن · وبحق حبيبتك راشـــيل ، أمي ، ليس الآن !

**فقال اسحق مصمما :**

ـ ولكن سيظنون اننا ناكرون للجميل ·

ـ ولكن لاحظ يا أبي أن الملك ريتشارد حاضر ، وأن ··

ـ حقـــا يا حبيبتي وحكيمتي ربيكا ! فلتبعد الآن ·

★★★

## الفصل الحادى والثلاثون

# وداع ربيكا

وفى الصـــباح الثانى لزواج ايفانهو وروينا ، جاءت وصيفتها الجيثا ، لتخبرها أن فتاة بالباب تريد محادثتها على انفراد ·

فأمرت روينا بالسماح للفتاة ، وبانســحاب اتباعها · فدخلت عليها الفتاة ذات القوام السمهرى ، متشحة بخمار أبيض ، واحنت رأســها ولثمت طرف ثوب روينا ·

فقالت العروس المندهشة :

ـ ماذا تقصدين أيتها الزائرة ؟

ـ جئت لاعرب عن واجب الشكر وأرد الجميل الذى أدين به للفارس ايفانهو · اننى ياسيدتى الفتاة التعيسة ، التى جازف بحياته من أجلهــا فى المبارزة القضائية ·

**فقالت روينا :**

ـ انه سدد بذلك دينـه الذى طوقت به عنقه يوم سهرت عليه وضمدت جراحه ، هل فى استطاعتى أن أقوم بخدمتك ؟ أو أعينك فى أمر من الأمور ؟

**فاجابت ربيكا :**

ـ لا أطلب منك يا سيدتى النبيلة الا ان تبلغيه شكرى ووداعى ·

ـ هل سترحلين عن انجلترا ؟

**فقالت وعيناها مبللة بالدموع :**

ـ نعم يا سيدتى ، سأرحل عنــدما يتبـدل القمر · ان قلبى يمتلىء بالذكريات عندما أتذكر قلعة توركويل ، وميدان المحرقة فى تمبلســنو · وداعا

ويظـل جزء بسيط من واجبى ، وهو أن تتفضـــل بقبول هذه ٠

وفتحت روينا العلبة الفضية الأنيقة التى ناولتها ربيكا ، فلاحظت أنها تحتوى على خواتم وحـــلى من الواضح أنها ثمينة القيمة ٠ **فقالت :**

ـ لا يمكننى أن أقبل مثل هذه الهدية الغالية الثمن ٠

**فقالت ربيكا :**

ـ تفضلى بقبولها يا سيدى ، فهى لا قيمة لهـــا بالنسبة لمنزلتك كما أنها لاقيمة لها عندى ، لأنى لن أتحلى بمثل هذه المجوهرات بعد اليوم ٠

**فقالت روينا :**

ـ اذن ، أنت بائسة ! ابق معنا وسأكون لك أختا وفية ٠

ـ لا ، ياسيدتى ، فأنا ســـأكون من ضمن النساء اللاتى وهبن أفكارهن للســـماء ، وأفعالهن

للأعمـال الخيرية بين البشر ، رعاية المرضى واطعـام الفقراء وتخفيف الأحزان عن المكروبين . والآن وداعا .. وادعو الله الذى خلق كلانا ، أن ينزل أفضل بركاته عليك .

★★★

رقم الايداع: ٨١١٦ / ٩٨

I.S.B.N. ------------------------------------

977 - 01 - 5739 - 2